djis
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30
مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644

DOI: https://doi.org/10.62921/djis.2025.02105	30/06/2025 النشر Published	07/01/2025 الاستلام Received

المسؤولية في الخطاب القرآني وأثرها في وعي الفرد والمجتمع ((دراسة موضوعية))

الأستاذ الدكتور حيدر عبد العزيز إسماعيل حمد

الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية الأساسية ـ قسم التربية الإسلامية

h.aa1978.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص:

المسؤولية في الإسلام مفهوم جوهري ينبني على تكليف الإنسان بما وُكِّل إليه شرعًا من مهام، فردية كانت أو جماعية، باعتباره كائنًا مكرّمًا عاقلًا. فكل من مُنح سلطانًا على أمرٍ ما، صار مسؤولًا عنه أمام الله والناس. وتتجلى المسؤولية الفردية في أن يكون الإنسان محاسبًا على ذاته، في جسده، وجوارحه، وعقله، وأقواله وأفعاله، وحتى على مكنونات قلبه من مشاعر كالحقد والحسد. وهذه المسؤولية لا يشاركه فيها أحد، فإن أحسن نال الأجر، وإن أساء استحق العقاب. والعقل مناط هذه المسؤولية؛ فمن زال عقله زال معه التكليف. وقد أسس القرآن هذا المفهوم الرباني بأن ربط المسؤولية بمقاصد الخلق: التكريم، الحرية، العقل، وبَعثة الرسل، ومن توفرت فيه هذه المقومات، وجب عليه حمل أمانة المسؤولية، ما لم يسقط عنه ذلك بزوال العقل، وهو ما يُعرف بارتفاع مناط المسؤولية. وتنبني المسؤولية على مشقةٍ وتكليف، فهي لا تكون في الأمور التافهة، بل فيما فيه نفع ومؤنة، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنفقة، والنصيحة، ورد الحقوق، وقول الحق. وهي إما التزامٌ طوعيّ، يتقبله الإنسان باختياره كما فعل يوسف عليه السلام حين تولى أمر الخزائن، أو إلزامٌ شرعيّ، يُفرض على المكلف كنفقة الزوجة والولد وسداد الديون. فالمسؤولية في جوهرها تعبير عن الإدراك العميق للتكليف الشرعي، وهي ركيزة لإصلاح الفرد والمجتمع، ووسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة في إقامة العدل وحفظ الحقوق.

كلمات المفتاحية: المسؤولية، الخطاب القرآني، الوعي الفردي، الوعي المجتمعي، الأخلاق الإسلامية.

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

Responsibility in the Qur'anic Discourse and Its Impact on Individual and Societal Awareness

(An Objective Study)

Prof. Dr. Haider Abdulaziz Ismail Hamad
Al-Mustansiriyah University – College of Basic Education – Department of Islamic Education

Abstract:

Responsibility in Islam is a fundamental concept based on assigning individuals tasks entrusted to them by Islamic law—whether personal or collective—on account of their honored and rational human nature. Anyone granted authority over something becomes accountable for it before God and people.

Individual responsibility manifests in a person being accountable for themselves: their body, limbs, intellect, words, actions, and even the hidden contents of the heart, such as hatred and envy. This is a personal responsibility in which no one shares; if the individual does well, they are rewarded, and if they do wrong, they are liable for punishment. The intellect is the basis for this responsibility; when the intellect is lost, the obligation ceases.

The Qur'an establishes this divine concept by linking responsibility to the purposes of creation: honor, freedom, intellect, and the sending of messengers. Whoever possesses these faculties is obligated to carry the trust of responsibility—unless the intellect is lost, which is known as the suspension of accountability.

Responsibility involves effort and obligation; it is not assigned to trivial matters but rather to what brings benefit and burden, such as enjoining good, forbidding evil, spending in charity, giving advice, restoring rights, and speaking the truth. It can either be a voluntary commitment, accepted by choice—as in the case of Prophet Yusuf (Joseph), peace be upon him, when he assumed control over the storehouses—or a legal obligation imposed on the responsible individual, such as providing for one's wife and children or repaying debts.

In essence, responsibility expresses a deep awareness of religious duty. It is a pillar for the reform of individuals and society and a means to fulfill the objectives of Islamic law in establishing justice and preserving rights.

Keywords: Responsibility, Qur'anic discourse, individual awareness, social awareness, Islamic ethics

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

المقدمة:

الحمد الله الملك المعبود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى صاحب الكرم والجود، وعلى آله واصحابه الموفين بالعهود.

اما بعد: انَّ مفهوم المسؤولية في الإسلام تعني أنَّ كلُّ إنسانٍ مسلمٍ مسؤولٌ عن كل شيءٍ قد جعل له الشرع سلطانًا عليه، فهو شخصٌ مكلّفَ يجب عليه تحمل المسؤولية الواجبة عليه، سواء أكانت هذه المسؤولية شخصية فردية، أو تكون مسؤولية جماعية، والمقصود بالمسؤولية الفردية؛ أنَّ كلُّ فردٍ هو مسؤول عن نفسهِ، وبدنهِ، وجوارحهِ، ومسؤول أيضًا عن عبادتهِ، وعلمهِ وعملهِ، ومعاملاتهِ وعقلهِ. وتعتبر المسؤولية الفردية؛ مسؤوليةٌ لا يستطيع أيُّ أحد آخر مشاركة الفرد في حملها سِوى الفرد نفسه، فإن أحسن فله الأجر والثواب، وإن أساء فله عقاب أليم، والمرء مسؤول عن كل كلمة يخرجها من لسانه، وعن كل حقدٍ وغلٍ وحسدٍ وضغينةٍ وبغضاءٍ وشحناء، يحملها في قلبه، وأساس هذه المسؤولية التكريم الإلهي للإنسان إذ جعله مسؤولًا وأناط تلك المسؤولية بموطن التكريم الإلهي وهو "العقل"، فلا مسؤولية على من لا عقل له، وحيثما ارتفعت المسؤولية الأخلاقية والجنائية فليس للتكريم معنى يُنَاطُ به، وللمسؤولية في القرآن أبعاد شخصية يكتمل بها تأسيس هذه القضية التشريعية، ثم ما على الفقهاء سوى استنباطِ جزئياتٍ متممة لها على هدي السنة النبوية ومقاصد الشريعة. وان المقصود بالاستشعار أنّ القرآن الكريم أودعَ في الإنسان حتميَّة الإحساس بالمسؤولية والقيام بها بصفتها أساسًا لصلاح الدنيا. ومدلول المسؤولية معلوم، وكلُّ واحد يقوم بها، وهي تحمُّل الشخص ما التزم به طوعًا أو أُلزم به كرهًا. وهو مناط بالعقل لا بعدمه، فان أسَّس القرآن لقضية المسؤولية بربطها بالأخلاق والعقل والحرية والتكريم وبَعثة الرسل، فمن قامت به هذه المعاني ثبتت مسؤوليته، وهو المراد بتحقيق مناط المسؤولية، لكن يمكن أنْ ترتفع هذه المسؤولية أخلاقيًّا وجنائيًّا بفقد العقل، وهذا ما نعنيه بارتفاع المناط. إذًا في كلِّ مسؤوليةٍ تكليفٌ ومشقة، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنفقة والنصح والإرشاد وقول الحق، فما لا مشقة فيه لا يندرج في مفهوم المسؤولية، وهي إمَّا التزامٌ أو إلزامٌ، ومنها أن يلتزم الإنسان بشيء متطوّعًا به، وليس المقصود بالتطوع أنَّه لا يأخذ أجرًا، ولعل في قول الله تعالى حكاية عن يوسف (عليه السلام) عندما جعله على خزائن الأرض، وهي استجابة تطوعية، والأصل في تحُّمل المسؤولية أنها تطوّعية أي أن الإنسان في خِيَرةٍ من أمره بأن يفعل أو لا يفعل، واتصافه بهذه الإرادة شرط لتحمُّل المسؤولية؛ وقد يكون تحُّمل المسؤولية إلزاماً عن طريق قوّة ملزِمة لتحمُّل المسؤولية كالنفقة على الزوجة والصغار وردِّ الدَّين والعارية. فوجدت من الضروري بحث هذه المفاهيم تحت عنوان (المسؤولية في الخطاب القرآني وأثرها في وعي الفرد والمجتمع دراسة موضوعية) وهو بعد المقدمة على سبعة مباحث: المبحث الأول: تعريف المسئولية وبيان حقيقتها، والمبحث الثاني: أنواع المسئولية واشتراك الراعي والرعية. والمبحث الثالث: بعض الآيات والأحاديث والاثار الواردة في المسئولية، والمبحث الرابع: تحمل المسؤولية للأب والمربي ووسائل التربية، والمبحث الخامس: شروط تحمُّل المسؤولية في القرآن الكريم، والمبحث السادس: الأسُس النظرية للمسؤولية، المبحث السابع: التنصل من المسئولية والخاتمة والهوامش والمصادر والمراجع ومن الله التوفيق.

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

المبحث الأول

تعريف المسئولية وبيان حقيقتها

المسئولية لغةً: المسئوليّة مصدر صناعيّ [١] مأخوذ من مادّة (س أ ل) الّتي تدلّ على استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى المعرفة، أو استدعاء مال أو ما يؤدّي إلى المال، قال الرّاغب: فاستدعاء المعرفة جوابه على اللّسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللّسان خليفة لها إمّا بوعد أو بردّ، والسّؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتّبكيت كما في قوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ) [٢]. والسّؤال إذا كان للتّعريف تعدّى إلى المفعول الثّاني تارة بنفسه وتارة بالجارّ، تقول سألته كذا، وسألته عن كذا وبكذا، والأكثر (عن)، وإذا كان السّؤال لاستدعاء مال فإنّه يتعدّى بنفسه أو بمن، وذلك كما في قول الله تعالى (وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً ...) [٣]. وقوله عزّ من قائل: (وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) [٤]. وقول الله تعالى: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ) [٥] قال الزّجّاج: سؤالهم سؤال توبيخ وتقرير، لإيجاب الحجّة عليهم؛ لأنّ الله جلّ ثناؤه عالم بأعمالهم. أمّا قوله سبحانه (فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ) [٦]، أي: لا يسأل ليعلم ذلك منه؛ لأنّ الله قد علم أعمالهم، وقال ابن الأثير: السّؤال في كتاب الله والحديث الشّريف نوعان: أحدهما: ما كان على وجه التّبيّن والتّعلّم ممّا تمسّ الحاجة إليه فهو مباح أو مندوب، أو مأمور به. والآخر: ما كان على طريق التّكلّف والتّعنّت فهو مكروه ومنهيّ عنه، فكلّ ما كان من هذا الوجه ووقع السّكوت عن جوابه فإنّما هو ردع وزجر للسّائل، وإن وقع الجواب عنه، فهو عقوبة وتغليظ، قال ابن منظور: وما جاء في الحديث من أنّه (كره المسائل وعابها)[٧] أراد المسائل الدّقيقة الّتي لا يحتاج إليها، وفي الحديث: (أنّه نهى عن كثرة السّؤال)، قيل هو من هذا، وقيل هو سؤال النّاس أموالهم من غير حاجة[٨]. ولفظ (المسئوليّة) من الألفاظ المحدثة الّتي يراد بها التّبعة يقال: أنا بريء من مسئوليّة هذا العمل، أي: من تبعته، وقيل: المسئوليّة ما يكون به الإنسان مسئولاً ومطالباً عن أمور أو أفعال أتاها. والمسئوليّة عند أرباب السّياسة: (هي الأعمال الّتي يكون الإنسان مطالباً بها)[٩].

واصطلاحاً: قال الدّكتور دراز: تعني المسئوليّة كون الفرد مكلّفاً بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدّم عنها حساباً إلى غيره. وينتج عن هذا التّحديد أنّ فكرة المسئوليّة تشتمل على علاقة مزدوجة من ناحية الفرد المسئول بأعماله وعلاقته بمن يحكمون على هذه الأعمال، والمسئوليّة قبل كلّ شيء هي استعداد فطريّ، إنّها هذه المقدرة على أن يلزم الإنسان نفسه أوّلاً، والقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصّة[١٠]. وقال الخاقانيّ: يراد بالمسئوليّة الشّعور بأداء الواجب والإخلاص في العمل وليست المسئوليّة مجرّد الإقرار فإنّ الجزم بالشّيء لا يعطي صفة المسئوليّة وإنّما يجد المتحسّس بها أنّ هناك واجبات لا بدّ من الانقياد إليها بغضّ النّظر عن النّتائج، فإنّ إنقاذ الغريق ممّا يشعر الشّخص بالمسئوليّة في إنقاذه إذا كانت له القدرة على الإنقاذ وإنّ دفع الظّلم ممّن له القدرة على دفع الظّلم يجب على ذلك الشّخص أن يدفع عن المظلوم وهو مسئول عن التّرك، فالمسئوليّة تختلف بلحاظ الأفراد وبلحاظ المجتمعات [١١]. وقيل: المسئوليّة حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاتها المختلفة [١٢]. وقد قرّرها

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

القرآن في آيات كثيرة، فقال: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ) [١٣] وقوله :(أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً)[١٤]، وقوله: (هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [١٥].

واما حقيقة المسئولية: فانّ جمهور المفسّرين قد ذكروا أنّ الأمانة تعمّ جميع وظائف الدّين، وأنّ جميع الأقوال في تفسير قول الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ)[١٦]. واتفقت أقوال المفسرين على أن "الأمانة" الواردة في قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ} تشير إلى معنى التكليف، أي التزام الإنسان بأوامر الله ونواهيه[١٧]. وقد بيّن النيسابوري أن المقصود بالتكليف هو إلزام النفس بفعل ما يخالف مقتضى الطبيعة[١٨]، كأن يُطلب من المرء ما لا تميل إليه نفسه، وهذا النوع من التكاليف لا ينطبق على السماوات أو الأرض أو الجبال؛ إذ لا يُطلب من السماء أن تنزل، ولا من الأرض أن تصعد، ولا من الجبال أن تتحرك، كما أن الملائكة مشغولون بذكر الله وتسبيحه، لا يقع عليهم هذا التكليف. أما الإنسان، فقد تميز عن سائر المخلوقات بإمكان القبول والرفض، فكان محلًّا لهذا الابتلاء. وسُمِّي التكليف "أمانة" لأن المكلّف إن قصّر في أدائها استوجب العقوبة، وإن وفّى بها استحقّ الكرامة. ولذلك عُرضت هذه الأمانة على الكائنات العظيمة فأبتها، لعدم استعدادها الفطري لتحمّل هذا النوع من المسؤولية.

وقد رأى بعض العلماء أن جوهر التكليف هو "لا إله إلا الله"، أي التوحيد. بينما ذهب النيسابوري إلى رأي آخر، مفاده أن الأمانة تتمثل في الاستعداد الكامن في كل مخلوق بحسب طبيعته، فالمخلوقات تؤدي ما فُطرت عليه من دون تقصير، أما الإنسان، فإن أخرج ما أودع فيه من قدرات في موضعها الصحيح، فقد أدّى الأمانة، وإن لم يفعل، فهو يحملها دون وفاء بحقها. وهذا ما يُفسر وصف الإنسان بالظلم والجهل؛ لأنه إمّا أساء استعمال ما أُعطي من طاقة واستعداد، أو علم بذلك ولم يعمل بمقتضى علمه، فكأنما جُرّد من العلم لعدم ظهوره في سلوكه. وعلى هذا، فالمراد بالإنسان هنا هم بنو آدم، ولا يُشترط في التعبير أن يُقصَد به كل فرد على وجه التحديد، بل يكفي أن يقع الوصف على بعضهم ليثبت الحكم على الجنس[١٩].

أشار العديد من المفسرين إلى أن "الأمانة" في الآية الكريمة ترمز إلى "التكليف"، وبيّنوا أن ما كُلّف به الإنسان من أوامر ونواهٍ إلهية كان بالغ العظمة وشديد الثقل، حتى إنه لما عُرض على أعظم الكائنات خلقًا وأشدّها بأسًا – كالسموات والأرض والجبال – اعتذرت عن حمله لعظم شأنه ومشقته، مع أنها تفوق الإنسان في القوة والرسوخ، لكن الإنسان قبِل تحمّل هذا العبء رغم ضعفه وتقلّب حاله وركاكة بنيته. وقد علّق أبو حيّان على ذلك مبينًا أن ما حمّله الإنسان ليس بالأمر الهيّن، بل هو حمل جسيم يدل على خصوصية هذا المخلوق واستعداده دون غيره للتعامل مع هذا النوع من التكاليف، بما فيه من حرية الاختيار وقابلية التردد بين الطاعة والمعصية. (أي أنّ الإنسان لم يكن حاله– فيما يصحّ منه من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، وهو حيوان صالح للتّكليف– مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها ويليق بها من الانقياد) [٢٠]. وقال ابن كثير: (ما قيل في الآية الكريمة من الأقوال العديدة لا تنافي بينها، بل هي متّفقة وراجعة إلى أنّها التّكليف وقبول الأوامر والنّواهي بشرطها، وهو أنّه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب) [٢١]. وإنّ حمل هذه الأمانة

يعني مسئوليّة الإنسان عنها واستعداده لتحمّل نتائجها وقبوله بمبدأ الثّواب والعقاب المنوطين بها، أمّا السّموات والأرض والجبال المشار إليها في الآية الكريمة فلا تعدو وظيفتها أداء الدّور الّذي خلقها الله لتؤدّيه بطريقة عفويّة، وعلى نسق واحد وليس هناك أيّ تدخّل ممكن لمبادرتها الخاصّة، لا من أجل صيانة النّظام الثّابت، ولا من أجل تغييره، أو تعديله في أيّ صورة ما كان، وإذن فلا مسئوليّة مطلقاً [٢٢] تقع عليها. يقول الدّكتور دراز: (أمّا في النّظام الأخلاقيّ، فالأمر بالعكس حيث يواجه الفاعل وهو هنا الإنسان إمكانات متعدّدة، يستطيع أن يختار من بينها واحدة، توافق هواه، سواء احترم القاعدة الأخلاقيّة أو احترمها، وعلى ذلك فإنّ الإمكان والضّرورة هما الصّفتان اللّتان تكوّنان مجال المسئوليّة أو عدم المسئوليّة [٢٣]، وجانب الإمكان هو الّذي رصد له الإنسان استعداده). لقد أبرز القرآن الكريم هذا التّباين الّذي يضع الإنسان العاقل [٢٤] في مقابل الكائنات غير المزوّدة بالعقل من حيث مقدرتها الأخلاقيّة، وذلك قول الله تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) الآية، والحمل هنا يعني في رأي أكثر المفسّرين– تحمّل التّكاليف، كما في قوله عزّ وجلّ (عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ..)[٢٥]. أو قوله سبحانه (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ) [٢٦] [٢٧]، وعلى هذا التّفسير يكون المراد بالإنسان جنس الإنسان عامّة كما قال النّيسابوريّ وغيره [٢٨]. أمّا المعنى الآخر للحمل وهو تحمّل الخطأ أو الوزر– وهو أيضا معنى وارد، وقال به بعض المفسّرين، فإنّه يحصر الإنسان في الكافر أو المنافق (أو قابيل)، خاصّة [٢٩]. وقد لخّص الشّيخ دراز وجهة من قال بذلك من المفسّرين فقال: (المعنى: مع أنّ المخلوقات الأخرى قد وفت بمهمّتها حين خضعت للقانون الكونيّ (الّذي خلقها الله عليه) دون اعتراض أو مقاومة (قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ)[٣٠]، فإنّ الإنسان الّذي لم يطع القانون الأخلاقيّ (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى...) الآية يبقى محمّلاً به وعلى ذلك فالأمر لا يتعلّق بالإنسان بعامّة، بل بالكفّار والعصاة وحدهم). وقال– رحمه الله تعالى– معقّبا على هذا التّفسير: (وهو تفسير– لا ريب معقول، في ذاته، ولكنّه فضلاً عن ذلك التّقييد الّذي يفرضه على مفهوم الإنسان الّذي جاء غير محدّد في النّصّ، فإنّه لا يحدّد على وجه الدّقة التّطابق بين الأسماء والضّمائر الّتي ترجع إليها، ولم تعد الأمانة المعروضة كما هي وصار من اللّازم اللّجوء إلى فكرة بعيدة) [٣١] حتّى يتقرّر للكائنات غير العاقلة نوع من الالتزام أو المسئوليّة. مما تقدم يفهم ان التعريف الراجح للمسؤولية هي التزام الشخص بتحمل نتائج أفعاله وتصرفاته، سواء كانت إيجابية أو سلبية، والوفاء بما يُطلب منه من واجبات أو مهام وفقًا للأدوار أو القوانين أو القيم الأخلاقية. تشمل المسؤولية جوانب متعددة مثل: المسؤولية الشخصية: التزام الفرد بالتصرف بشكل صحيح وتحمل نتائج قراراته. والمسؤولية الاجتماعية: التزام الفرد أو المؤسسة تجاه المجتمع والعمل لصالحه. والمسؤولية القانونية: الالتزام بالقوانين وتحمل العقوبات عند مخالفتها. والمسؤولية الأخلاقية: الالتزام بالمبادئ والقيم الأخلاقية في التعامل مع الآخرين.

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

المبحث الثاني

أنواع المسئولية واشتراك الراعي والرعية

وأنواع المسؤولية كما تناولها العلماء[٣٢]:

المسؤولية الدينية: تنطلق من التزام الإنسان بتعاليم الدين، استجابة لأوامر الله تعالى واجتنابًا لنواهيه، مع إدراكه التام أن كل فعل يصدر عنه يقع تحت طائلة الحساب الأخروي. وهي مسؤولية تنبع من العقيدة، وتُغرس في النفس من خلال الإيمان بالمراقبة الإلهية والجزاء العادل.

المسؤولية الاجتماعية: تتجسّد في التزام الفرد بالنظم والقوانين والأعراف التي تنظم حياة الجماعة، فلا ينفصل عن مجتمعه، بل يكون جزءًا فاعلًا فيه. وقد وُصفت بأنها مسؤولية نابعة من الذات تجاه الجماعة، تقوم على ثلاثة أركان رئيسة: الاهتمام بشؤون الناس، والفهم لاحتياجاتهم، والمشاركة في قضاياهم وهمومهم.

المسؤولية الأخلاقية: تمثل قدرة الإنسان على تحمّل نتائج أفعاله، سواء كانت خيرًا أم شرًّا، وهي مسؤولية داخلية مصدرها الضمير الحي، الذي يوجّه الإنسان نحو الصواب، ويردعه عن الخطأ، ويجعله يزن أفعاله بميزان القيم قبل أن يزنها بميزان القانون أو العرف[٣٣]. وكلّ مسئوليّة قبلناها، وارتضينا الالتزام بها فهي مسئوليّة أخلاقيّة بدليل: أ-أنّ القرآن يقدّم المسئوليّة الدّينيّة ذاتها في صورة أخلاقيّة محضة حين تحايل بعض النّاس على التّخلّص من بعض تعاليم الصّوم سرّا قال تعالى: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ) [٣٤]. ب- أنّ القرآن لا يكتفي بتذكير النّاس في كثير من الأحيان بالأمر الإلهيّ، وإنّما يذكّرهم بالعهد الّذي قطعوه على أنفسهم، يقول الله تعالى: (وَما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [٣٥]. وقوله تعالى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثاقَهُ الَّذِي واثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وَأَطَعْنا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) [٣٦]. قرّر القرآن الكريم أنّ شرط هذه المسئوليّة الشّمول: ١- من ناحية الفرد يقول الله تعالى: (فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ)[٣٧]. وقوله:(فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ)[٣٨]. ٢- من ناحية الأعمال الخيّرة والشّرّيرة صغيرة وكبيرة.. ظاهرة وخفيّة: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [٣٩]. ٣- من ناحية الأقوال والألفاظ سرّها ونجواها. يقول الله تعالى: (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [٤٠]. ٤- من ناحية السّمع والبصر والملكات: يقول تعالى: (وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا) [٤١]. ٥- من ناحية النّعيم والمال: (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) [٤٢]. وقال (صلّى الله عليه واله وسلّم): (لا تزول قدماً عبد حتّى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن علمه فيم عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟) [٤٣]. ومن المبادئ الّتي قرّرها الإسلام قصر المسئوليّة على المسئول وحده وهي ما تسمى بالمسئولية شخصية: قال تعالى: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ) [٤٤]. (قُلْ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا وَلا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [٤٥]، فلا يؤخذ بريء بجريرة مذنب، ولا يشترك أهله فيما اقترفت يداه، أو نسب إليه. وقد كان التّشريع اليونانيّ القديم يقضي بالإعدام على المجرم نفسه، وعلى جميع أفراد أسرته في الخيانة العظمى، وفي انتهاك الأشياء

المقدّسة. وحماية للإمام المسلم من الانزلاق في الظّلم جاء قوله تعالى: (وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) [٤٦]. وقوله تعالى: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) [٤٧]. والرّاعي والرّعيّة يدان تتعاونان على خير الأمّة، ورعاية مصالحها، وكفالة الأمن على حياة النّاس وأعراضهم وأموالهم، ولا يستقيم أمر الأمّة، ولا تتّسق شئونها إلّا إذا قام كلّ من الحاكم والمحكوم بمسئوليّاته، وأخلص المعاونة لصاحبه، قال (صلّى الله عليه واله وسلّم): (كلّكم راع، وكلّكم مسئول عن رعيّته: الإمام راع ومسئول عن رعيّته، والرّجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيّتها، والخادم راع في مال سيّده ومسئول عن رعيّته، والرّجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيّته. وكلّكم راع ومسئول عن رعيّته) [٤٨]. ولكي تنجح الأمّة في مسيرتها. وتحقّق غايتها لا بدّ من أن ينهض كلّ بمسئوليّاته. وإليك تفصيل ذلك:

أوّلاً: مسئوليّة الرّاعي:

١- التّسوية بين الرّعيّة: أمر الله الحاكم بالعدالة حتّى يسوّي بين النّاس جميعا. قال تعالى (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى) [٤٩]، وقال تعالى: (فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا) [٥٠]، وقال تعالى: (يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى) [٥١]. في أيامه الأخيرة، خرج النبي ﷺ وهو مريض، مستندًا إلى الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حتى جلس على المنبر، ثم قال يخاطب الناس: "يا أيها الناس، من كنت جلدت له ظهرًا فليأت فليقتصّ مني، فهذا ظهري بين أيديكم، ومن كنت نلت من عرضه بكلمة، فليأخذ حقّه، فهذا عرضي حاضر، ومن كنت أخذت له مالًا، فهذا مالي فليأخذ منه لا يمنعه مانع. ولا يهابنّ أحدٌ أن يطلب حقه، فلا مكان للضغائن في صدري، فإنها ليست من طبيعتي. ألا وإن أحبّكم إليّ من استوفى مني حقّه إن كان له، أو عفا عني، حتى ألقى ربي وقد برئت ذمتي واطمأنّ قلبي). [٥٢]. وقال (صلّى الله عليه واله وسلّم) لأهل بيته: (يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عبّاس بن عبد المطّلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفيّة عمّة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمّد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً) [٥٣]. هذا الينبوع الفيّاض الغزير سرت منه العدالة إلى الخلفاء والولاة.

٢- رعاية مصالح النّاس: على الحاكم رعاية المصالح الدّينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والأمنيّة بإقامة المساجد للعبادة. وإنشاء المدارس للتّعليم. ونشر المستشفيات للعلاج. وشقّ التّرع لإحياء الأرض، وتكوين المجتمعات اهتماما للزّراعة والصّناعة والتّجارة. وفتحاً لمجالات العمل أمامهم. فمن عجز عن العلم قامت الدّولة برعايته، يحفظ التّاريخ أنّ عمر- رضي الله عنه- رأى شيخاً من أهل الذّمّة يسأل، فقال له: ما الّذي يحملك على ذلك؟ قال: الحاجة. قال عمر: لقد فرضنا لك سهما في بيت مال المسلمين. ما كنّا لنأخذ منك الجزية وأنت شابّ، ونضيّعك وأنت شيخ. قال ابن عمر: إنّ رفقة من التّجّار نزلوا المصلّى، فقال عمر لعبد

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

الرّحمن بن عوف: هل لك أن تحرسهم اللّيلة من السّرقة؟ فباتا يحرسان ويصلّيان ما كتب الله، فسمع عمر في جوف اللّيل بكاء طفل فتوجّه نحوه وقال لأمّه: اتّقي الله، وأصغي إلى طفلك. ثمّ عاد إلى مكانه. فسمع بكاءه، فعاد إلى أمّه وقال مقالته، وعاد إلى مكانه، فلمّا كان آخر اللّيل سمع بكاء الصّبيّ، فقال لأمّه: ويحك، مالي أرى ابنك لا يقرّ منذ اللّيلة؟ قالت: – وهي لا تعرفه– يا عبد الله، قد أبرمتني طول اللّيل، إنّي أعالجه على الفطام فيأبى إلّا رضاعا. قال عمر: ولم؟ قالت: لأنّ عمر لا يفرض إلّا للفطيم. قال: وكم لابنك؟ قالت: كذا وكذا شهراً. قال لها: ويحك لا تعجليه. ثمّ صلّى الفجر، وما يستبين النّاس قراءته من غلبة البكاء!! فلمّا انتهى من صلاته قال: يا بؤسا لعمر! كم قتل من أولاد المسلمين؟ ثمّ أمر منادياً ينادي: (لا تعجلوا صبيانكم على الفطام، فإنّا نفرض لكلّ مولود في الإسلام) [٥٤].

٣– حسن اختيار البطانة: حسن اختيار الأعوان من الأمناء المخلصين ذوي الدّراية والكفاية ممّا يحقّق الغايات والأهداف. ويزيل من دنيا النّاس الوساطة والمحسوبيّة والرّشوة. قال صلّى الله عليه وسلّم: «من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه» . وقال عمر لبعض عمّاله: (إنّي لم أستعملكم على أمّة محمّد، على أعشارهم ولا على أبشارهم– جلودهم– وإنّما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصّلاة، وتقضوا بينهم بالحقّ، وتقسموا بينهم بالعدل، لا تجلدوا المسلمين فتذلّوهم، ولا تضيّعوا حقوقهم فتفتنوهم) [٥٥].

٤– إعطاء القدوة الحسنة: الحاكم سوق ما راج عنده راج عند النّاس. حينما عهد أبو بكر لعمر بالخلافة أوصاه قائلا: اعلم أنّهم لن يزالوا منك خائفين ما خفت الله. وقال عمر في خطبة له بعد توليته: من رأى فيّ اعوجاجا فليقوّمه، فقال أعرابيّ: (والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوّمناه بسيوفنا) [٥٦]. "ما أشدّ حرصه على أموال الأمة! حتى كان يخشى أن يُسأل يوم القيامة عن أصغر ما يُهدر منها، فيقول: (لو هلكت شاة تائهة على ضفاف الفرات، لخشيت أن يحاسبني الله عليها يوم الدين). [٥٧].

تكافؤ المسئولية والجزاء: حدّد القرآن الجزاء بقدر المسئوليّة مع إيثار جانب الرّحمة والعفو. ومضاعفة الحسنة. قال تعالى: (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها) [٥٨]. (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ)[٥٩] . ويمثّل القرآن العدل الإلهي بالميزان. ذلك الميزان الّذي جعله أركان رسالة الأنبياء. قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [٦٠]. (وَالسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزانَ* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ) [٦١]. هذه معالم المسئوليّة في الإسلام: فالإنسان مسئول عن كسبه من خير وشرّ ومجازى عنه. وباب التّوبة مفتوح له ما بقيت الحياة، والجزاء العادل يوم القيامة [٦٢]. يقول الدّكتور عليّ أبو العينين [٦٣]:

ومسئوليّة الفرد نحو المجتمع تتلخّص في التّالي:

١- الالتزام بقانون الجماعة، وهذا يستلزم من الأفراد الالتزام بعقيدة المجتمع الأساسيّة، الّتي تعتبر أمانة اجتماعيّة.

٢- التّعاون مع الجماعة في سبيل الخير العامّ: (وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى) [٦٤] من مساهمة الاقتصاد وغير ذلك.

٣- تقديم العمل الصّالح والتّنافس في هذا السّبيل: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [٦٥]، حيث يجب الإنفاق في سبيل الله، واستثمار الأموال، والاعتدال في الإنفاق وغير ذلك من الجوانب الأخلاقيّة

٤- نشر العلم الّذي يسهم إسهاما إيجابيّاً في بناء المجتمع وتطويره واستغلال الذّكاء في هذا السّبيل: (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) [٦٦]. ومن ذلك، الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

أمّا مسئوليّة الدّولة نحو الأفراد فتتلخّص فيما يلي:

١- توفير العلم لجميع أفراد المجتمع انطلاقا من قاعدة وجوب نشر العلم.

٢- إقرار النّظام العامّ المستمدّ من شريعة الله وتوفير الأمن والطّمأنينة للفرد والمجتمع ويشمل ذلك الأقلّيّات.

٣- الحفاظ على الوحدة الإسلاميّة.

٤- توفير الأمن لجميع أفراد المجتمع، فالمجتمع مسؤول عن رفع مستوى أفراده، وتعاونه في سبيل تقوية نفسه.

وأمّا قيادة المجتمع، فمهمّتها صعبة، ونجاح القيادة نجاح للمجتمع، وفشلها يعوق المجتمع، ولهذا نجد القرآن يلزم القيادة بالعدل والرّحمة بالجميع واتّباع الحقّ، ويبعدها عن انتظار الأجر من المجتمع، ويحذّرها من الفتنة والميل، ويمنعها من الطّغيان والفرديّة، والإفساد في الأرض، ويوجب عليها استشارة الأمّة، والاستماع إلى آرائها بما فيها الآراء المعارضة[٦٧]. وتحمل الفرد مسئولية إصلاح المجتمع: قال الدّكتور عبد الكريم زيدان: ومن خصائص النّظام الاجتماعيّ في الإسلام تحميل الفرد مسئوليّة إصلاح المجتمع، بمعنى أنّ كلّ فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتّعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب. قال تعالى: (وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ) [٦٨]. وتعليل مسئولية الفرد عن إصلاح المجتمع: وإذا كان الفرد مسئولا عن إصلاح المجتمع، فما تعليل ذلك؟ ولماذا يطالب الفرد بهذا الواجب مع مطالبته بإصلاح نفسه؟ الّذي نراه، أنّ تعليل هذه المسئوليّة أو هذه المطالبة، ما يأتي [٦٩]: أوّلا: الفرد يتأثّر بالمجتمع: الإنسان كائن اجتماعيّ يتأثّر بالمجتمع الّذي يعيش فيه، فتمرض روحه أو تهزل، أو تصحّ وتقوى تبعا لصلاح المجتمع أو فساده. وقد أشار النّبيّ الكريم (صلّى الله عليه واله وسلّم) إلى هذه الحقيقة، فقد جاء في الحديث الشّريف (ما من مولود إلّا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ... الخ)، فالأبوان بالنّسبة للصّغير مجتمعه الصّغير الّذي يؤثّر فيه،

فيدفعه إلى الفساد أو الضّلاح، فإذا كان الأبوان ضالّين دفعاه إلى الضّلال، وأخرجاه عن مقتضى الفطرة السّليمة الّتي خلقه الله عليها، وإذا كانا صالحين أبقياه على الفطرة الّتي خلقه الله عليها. ونمّيا فيه جانب الخير. وهكذا شأن المجتمع الكبير في تأثيره في الفرد صلاحاً وفساداً. ثانيا: ضرورة قيام المجتمع الصّالح: وقيام المجتمع الصّالح ضروريّ للفرد، لأنّ المطلوب من المسلم تحقيق الغرض الّذي خلق من أجله وهو عبادة الله وحده، قال تعالى: (وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٧٠). والعبادة اسم جامع لما يحبّه الله تعالى من الأقوال والأفعال والأحوال الظّاهرة والباطنة وهذا المعنى الواسع للعبادة ينبغي على المسلم أن يُخضع أقواله وأعماله وسلوكياته، بل وجميع علاقاته مع الناس، لما قررته الشريعة الإسلامية من أحكام ومبادئ. غير أن تحقيق هذا الانسجام التام بين الفرد وتعاليم الإسلام لا يمكن أن يتم بصورة فعّالة ما لم يكن الإطار الاجتماعي المحيط به مهيأً لذلك، أي أن يعيش في مجتمع إسلامي سليم، تُنظَّم فيه الحياة العامة والخاصة بما يعين الفرد على الالتزام، ويهيّئ له بيئة صالحة تُيسِّر الامتثال لا تُعسِّره. فإن لم يكن كذلك بأن كان مجتمعا جاهليّا صرفا، أو مجتمعا مشوباً بمعاني الجاهليّة، فإنّ المسلم لا يستطيع فيه أن يحيا الحياة الإسلاميّة المطلوبة أو يتعذّر عليه ذلك. ولهذا يأمر الإسلام بالتّحوّل من المجتمع الجاهليّ إلى المجتمع الإسلاميّ، ما دام عاجزا عن إزالة جاهليّته، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً) (٧١). وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة أنّها نزلت: في كلّ من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكّنا من إقامة الدّين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع. ولهذا يجب على كلّ مسلم تعهّد المجتمع الّذي يعيش فيه وإزالة المنكر حال ظهوره أو وقوعه وأن لا يستهين به، لأنّ المنكرات كالجراثيم الّتي تؤثّر في الجسد قطعا، وإذا لم تمرض البعض فإنّها تضعف مقاومته فيسهل عليها فيما بعد التّغلّب عليه. ولهذا كانت أولى مهمّات الدّولة إقامة هذا المجتمع الإسلاميّ الفاضل وإزالة المنكرات منه، قال تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ) (٧٢). ثالثاً: النّجاة من العقاب الجماعيّ: وقيام الأفراد بإصلاح المجتمع ينجّيهم وينجّي المجتمع من الهلاك الجماعيّ أو العقاب الجماعيّ أو الضّيق والضّنك والقلق والشّرّ الّذي يصيب المجتمع. وتوضيح هذه الجملة يحتاج إلى شيء من التّفصيل لأهميّة الموضوع وخطورته، فنقول: من سنّة الله تعالى، أنّ المجتمع الّذي يشيع فيه المنكر، وتنتهك فيه حرمات الله، وينتشر فيه الفساد، ويسكت الأفراد عن الإنكار والتّغيير، فإنّ الله تعالى يعمّهم بمحن غلاظ قاسية، تعمّ الجميع، وتصيب الصّالح والطّالح، وهذه في الحقيقة سنّة مخيفة وقانون رهيب يدفع كلّ فرد لا سيّما من كان عنده علم وفقه أو سلطان إلى المسارعة والمبادرة فورا لتغيير المنكر دفعا للعذاب والعقاب عن نفسه وعن مجتمعه (٧٣).

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

المبحث الثالث

بعض الآيات والأحاديث والاثار الواردة في المسئولية

الموضع الأول:

قال تعالى: (فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ) [٧٤]، أي: فوحق ربك- أيها الرسول الكريم- الذي خلقك فسواك فعدلك، لنسألن هؤلاء المكذبين جميعاً، سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت، عما كانوا يعملونه في الدنيا من أعمال قبيحة: وعما كانوا يقولونه من أقوال فاسدة، ثم لننزلن بهم جميعا العقوبة المناسبة لهم. فالمقصود من هذه الآية الكريمة زيادة التسلية للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وتأكيد التهديد للمشركين [٧٥]. روى الترمذي عن أنس عن النبي (صلّى الله عليه واله وسلّم) (فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) قال: (عن لا إله إلا الله). وقال عبد الله بن مسعود (والذي لا إله غيره ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر. فيقول: ابن آدم ماذا غرّك مني بي؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين)؟ [٧٦]. قال القشيري: (العوام يسألهم عن تصحيح أعمالهم، والخواص يسألهم عن تصحيح أحوالهم. ويقال يسأل قوماً عن حركات ظواهرهم، ويسأل آخرين عن خطرات سرائرهم. ويسأل الصديقين عن تصحيح المعاني بفعالهم، ويسأل المدّعين عن تصحيح الدعاوى تعنيفاً لهم. ويقال سماع هذه الآية يوجب لقوم أنساً وسروراً حيث علموا أنه يكلّمهم ويسمعهم خطابه لاشتياقهم إليه، فلا أسعد من بشر يعرف أنّ مولاه غدا سيكلمه) [٧٧]. ومعنى كلام القشيري: ان مقامات الناس في القرب من الله، وكيف تختلف نوعية السؤال الإلهي لهم يوم القيامة بحسب قربهم ومعرفتهم: فالعوام: يسألون عن العمل. والخواص: يسألون عن القلب والحال. والصديقون: يسألون عن صدق المعاني.

والمدّعون: يُوبّخون على الكذب. وأهل الشوق: يفرحون بأن الله سيكلمهم، لأن أعظم النعيم عندهم هو خطابه لا الجنة فقط.

الموضع الثاني:

قال تعالى: (وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [٧٨]، بين- سبحانه- أن قدرته لا يعجزها شيء فقال- تعالى-: وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أيها الناس أُمَّةً واحِدَةً متفقة على الحق وَلكِنْ لحكم يعلمها ولا تعلمونها، ولسنن وضعها في خلقه يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ إضلاله لاستحبابه العمى على الهدى، وإيثاره الغي على الرشد وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ هدايته لحسن استعداده، وسلامة اختياره، ونهيه النفس عن الهوى. (وَلَتُسْئَلُنَّ) أيها الناس يوم القيامة سؤال محاسبة ومجازاة (عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) في الدنيا، فيثيب الطائعين بفضله، ويعاقب العصاة بعدله [٧٩]. قال الرازي: (اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَلَّفَ الْقَوْمَ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَتَحْرِيمِ نَقْضِهِ، أَتْبَعَهُ بِبَيَانِ أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَفَاءِ وَعَلَى سَائِرِ أَبْوَابِ الْإِيمَانِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ بِحُكْمِ الْإِلَهِيَّةِ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. أَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ: فَإِنَّهُمْ حَمَلُوا ذَلِكَ عَلَى الْإِلْجَاءِ، أَيْ لَوْ أَرَادَ أَنْ يُلْجِئَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ أَوْ إِلَى الْكُفْرِ لَقَدَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ يُبْطِلُ التَّكْلِيفَ، فَلَا جَرَمَ مَا أَلْجَأَهُمْ إِلَيْهِ وَفَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ فِي هَذِهِ التَّكَالِيفِ، وَأَمَّا قَوْلُ أَصْحَابِنَا

فِيهِ فَهُوَ ظَاهِرٌ، وَهَذِهِ الْمُنَاظَرَةُ قَدْ تَكَرَّرَتْ مرارا كثيرة، وروى الواحدي أن عزيزا قَالَ: يَا رَبِّ خَلَقْتَ الْخَلْقَ فَتُضِلُّ مَنْ تشاء وتهدي من تشاء، فقال: يا عزير أَعْرِضْ عَنْ هَذَا، فَأَعَادَهُ ثَانِيًا. فَقَالَ: أَعْرِضْ عَنْ هَذَا، فَأَعَادَهُ ثَالِثًا، فَقَالَ: أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَإِلَّا مَحَوْتُ اسْمَكَ مِنَ النُّبُوَّةِ) [٨٠]. قال القشيري: (ليست واقعة القوم بخسران يصيبهم في أموالهم، أو من جهة تقصيرهم في أعمالهم ولما ضيّعوه من أحوالهم) [٨١] .

الموضع الثالث:

قال تعالى: (وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ، كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا) [٨٢]، والمعنى: ولا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك- من قول أو فعل- قال قتادة: لا تقل رأيت وأنت لم تر، وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم. أي: إن السمع الذي تسمع به- أيها المكلف-، والبصر الذي تبصر به، والفؤاد- أي القلب- الذي تحيا به، كل أولئك الأعضاء ستكون مسئولا عن أفعالها يوم القيامة، وسيقال لك بتأنيب وتوبيخ: لماذا سمعت ما لا يحل لك سماعه، ونظرت إلى ما لا يجوز لك النظر إليه، وسعيت إلى ما لا يصح لك أن تسعى إليه!! وعلى هذا التفسير يكون السؤال في قوله تعالى: (كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا) للإنسان الذي تتبع ما ليس له به علم من قول أو فعل. ومنهم من يرى أن السؤال موجه إلى تلك الأعضاء، لتنطق بما اجترحه صاحبها، ولتكون شاهدة عليه، فيكون المعنى: إن السمع والبصر والفؤاد، كل واحد من أولئك الأعضاء، كان مسئولا عن فعله، بأن يقال له: هل استعملك صاحبك فيما خلقت من أجله أولاً؟ ويكون هذا السؤال للأعضاء من باب التوبيخ لأصحابها [٨٣]. إنها كلمات معدودة، لكنها ترسم منهجًا متكاملاً للقلب والعقل معًا، وتضع أساسًا فريدًا يجمع بين دقة البحث العلمي ومراقبة الضمير، بين يقظة الفكر واستقامة الإيمان. فالإسلام، حين يدعو إلى التثبّت والتأكّد قبل إصدار الأحكام، لا يقدم مجرد إجراء عقلي بارد كما تفعل المناهج الحديثة، بل يربط ذلك بنقاء القلب وخشية الله، فيمنح الإنسان منهجًا متكاملًا يجمع بين صدق الفكرة وطهارة النية. فكل خبر يُسمع، وكل واقعة تُروى، وكل ظاهرة تُلاحظ، يجب أن تمر أولًا بمنهج التمحيص، ثم تُعرض على ميزان العقل المتصل بالله، والعين المفتوحة على الحقيقة. بذلك، لا يبقى للوهم والخرافة مكان في العقيدة، ولا للظن والشبهة موضع في القضاء والمعاملة، ولا للسطحية والانطباعية حظ في ميادين البحث والتجريب والعلم. أما ما يُسمى اليوم بـ"الأمانة العلمية"، التي يُشاد بها في الأوساط المعرفية، فهي في الحقيقة جزء من أمانة أشمل وأعمّ قررها القرآن الكريم، حين حمّل الإنسان مسؤولية سمعه وبصره وفؤاده بين يدي خالقه جلّ جلاله. هي أمانة الكلمة حين تُقال، وأمانة الرواية حين تُروى، وأمانة الحكم حين يُصدر، أمانة تزلزل القلب وتستنهض الضمير، وتُربّي الإنسان على ألّا يتبع ما لا يعلم علمًا يقينيًا. قال تعالى:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي لا تتبع ما لا تعلمه حقّ العلم، لا في القول، ولا في الحكم، ولا في التفسير، ولا في العقيدة. إنه ميزان رباني، يقيم المجتمع على أسس من الصدق، ويزكّي النفس على منهج من النقاء، ويقود العلم إلى غايته النبيلة بعيدًا عن الانحراف والتزييف. [٨٤].

الموضع الرابع:

قال تعالى: (وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا) [٨٥]، أي: ولقد كان هؤلاء المنافقون قد حلفوا من قبل غزوة الأحزاب، أنهم سيكونون معكم في الدفاع عن الحق وعن المدينة المنورة التي يساكنونكم فيها، ولكنهم لم يفوا بعهودهم. (وَكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا) أي: مسئولاً عنه صاحبه الذي عاهد الله- تعالى- على الوفاء، وسيجازى- سبحانه- كل ناقض لعهده، بما يستحقه من عقاب [٨٦]. قال القشيري: (ولكن لما عزم الأمر، وظهر الجدّ لم يساعدهم الصدق، ولم يذكروا أنهم سيسألون عن عهدهم، ويعاقبون على ما أسلفوه من ذنبهم) [٨٧].

وعبارة القشيري: تنتقد من يتظاهر بالصدق أو التوبة، لكنه حين يأتي وقت المحكّ (الاختبار الفعلي) يتراجع أو يكذب، ولا يفي بعهدٍ قطعه، ولا يتذكر أنه سيُحاسب على أفعاله السابقة. إنها دعوة للتأمل في الصدق الحقيقي والوفاء بالعهود. وفي التفسير المنير: (ولقد كان هؤلاء وهم بنو حارثة عاهدوا الله يوم أحد من قبل هذا الخوف ألا يولوا الأدبار، ولا يفرون من الزحف، ثم تابوا وعاهدوا الله ألا يعودوا لمثل ذلك. ثم هددهم تعالى وأوعدهم بقوله: (وَكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُلاً) أي إن الله سيسألهم عن ذلك العهد والوفاء به يوم القيامة، ويجازيهم على نقضه وخيانة رسول الله، وذلك أمر لا بدّ منه. وقوله: (مَسْؤُلاً) معناه: مطلوباً مقتضى حتى يوفى به) [٨٨].

واما بعض الأحاديث الواردة في (المسئولية):

١-عن لقيط بن عامر أنّه خرج وافدا إلى رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلّم) ومعه صاحب له، يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق. قال لقيط فخرجت أنا وصاحبي حتّى قدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في النّاس خطيبا، فقال (أيّها النّاس، إنّي قد خبّأت لكم صوتي منذ أربعة أيّام، ألا لأسمعنّكم ألا فهل من امرئ بعثه قومه). فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ألا ثمّ لعلّه أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه، أو يلهيه الضّلال ألا إنّي مسئول هل بلّغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا، ألا اجلسوا، قال: فجلس النّاس وقمت أنا وصاحبي حتّى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله، وهزّ رأسه، وعلم أنّي أبتغي لسقطه، فقال (ضنّ ربّك- عزّ وجلّ- بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلّا الله)، وأشار بيده ... الحديث) [٨٩].

٢-عن محمّد بن عليّ، قال: دخلنا على جابر بن عبد الله. فسأل عن القوم [٩٠] حتّى انتهى إليّ. فقلت: أنا محمّد بن عليّ بن حسين. فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زرّي الأعلى [٩١] ثمّ نزع زرّي الأسفل. ثمّ وضع كفّه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شابّ. فقال: (مرحبا بك. يا ابن أخي! سل عمّا شئت). فسألته... فخاطب الناس بخطبة جامعة، أعلن فيها حرمة الدماء والأموال، وجعلها مصونة لا تُنتهك، كما يُصان اليوم المبارك،

في الشهر الحرام، في البلد الحرام[٩٢]. وأكّد أن ما كان من عادات الجاهلية ومظالمها فهو باطل مرفوض، لا يُعتد به، وأول ما يلغى من تلك المظالم دماءٌ أُزهقت في الجاهلية، وبدأ بأقرب الدماء إليه: دم ابن ربيعة بن الحارث، الذي قُتل وهو مسترضَع في قبيلة بني سعد على يد قبيلة هذيل. كما أعلن أن الربا الجاهلي قد نُسخ، وأول ما يُبطل من ذلك ربا عمه العباس بن عبد المطلب، فأبطله كله. ثم أوصى بالنساء خيرًا، مذكّرًا بأنهنّ أمانة في أعناق الرجال، أُخذن بعهد الله، وحُصنت حقوقهنّ بكلمة الله، وحثّ على معاملتهنّ بالمعروف، وأن يُؤمَّن لهنّ العيش الكريم من رزق وكسوة[٩٣]. وبيّن أن من حق الرجل ألا يُدخلن النساء إلى بيوتهم من يكرهون[٩٤]، فإن خالفن ذلك فلهم تقويمهنّ بما لا يُفضي إلى أذى مبرّح[٩٥]. وأكد النبي في كلمته أنه قد ترك في الأمة ما يضمن لها الهداية والاستقامة ما دامت متمسكة به، وهو كتاب الله[٩٦]. ثم سأل الناس عمّا يقولون عنه بين يدي الله، فأجمعوا على الشهادة بأنه قد بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فرفع إصبعه إلى السماء وأشار بها إلى الناس وهو يكرر: "اللهم فاشهد، اللهم فاشهد، اللهم فاشهد"[٩٧]. وبعد هذه الخطبة، أذّن المؤذّن، ثم أقام الصلاة، فصلى بهم الظهر، ثم أقام فصلّى العصر، ولم يُصلِّ بينهما شيئًا. ثم ركب ناقته، وانطلق إلى موضع الوقوف، فأوقف ناقته عند موضع الصخرات[٩٨]، وجعل أمامه مسلك المشاة، واستقبل القبلة، وظل واقفًا يدعو ربّه حتى غربت الشمس، واصفرّ الأفق ثم غابت الشمس تمامًا[٩٩]. وكان أسامة بن زيد راكبًا خلفه، وشدّ النبي زمام ناقته[١٠١] ليواصل المسير... [١٠٢].

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في (المسئولية):

١- دخل أعرابي على الخليفة سليمان بن عبد الملك، فأذن له بالكلام، فقال الأعرابي: "يا أمير المؤمنين، سأكلمك بكلمات فاصبر عليها وإن ساءتك، فإن في طيّها ما يسرك إن قبلتها." فقال الخليفة: "يا أعرابي، إنّا نُوسِع صدرونا لمن لا نأمن غشّه ولا نرجو نصحه، فكيف بمن نأمن إخلاصه ونأمل نُصحه؟" فقال الأعرابي: "يا أمير المؤمنين، لقد احتفّ بك رجال أساؤوا لأنفسهم قبل أن يسيئوا إليك؛ باعوا دينهم بدنياهم، وابتغوا رضاك بسخط ربهم، فهابوك في غير موضع الهيبة، ولم يتقوا الله فيك كما وجب. فلا تطمئنّ إليهم فيما استرعاك الله من أمر هذه الأمة، فإنهم خونة للأمانة، ظالمون للرعية، ما قصروا في خيانتهم ولا توانوا في فسادهم. واعلم أنك مسؤول بين يدي الله عن أفعالهم، وهم غير مسؤولين عن فعلك. فلا تجعل صلاح دنياهم سببًا في هلاك آخرتك، فإن أذلّ الناس وأغبنهم من باع آخرته ليشتري بها دنيا غيره." [١٠٣].

٢-عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: (دخلت على حفصة فقالت: أعلمت أنّ أباك غير مستخلف؟ قال قلت: ما كان ليفعل. قالت: إنّه فاعل. قال: فحلفت أنّي أكلّمه في ذلك. فسكتّ.

حتّى غدوت. ولم أكلّمه. قال: فكنت كأنّما أحمل بيميني جبلا حتّى رجعت فدخلت عليه. فسألني عن حال النّاس. وأنا أخبره. قال: ثمّ قلت له: إنّي سمعت النّاس يقولون مقالة. فآليت أن أقولها لك. زعموا أنّك غير مستخلف. وإنّه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمّ جاءك وتركها رأيت أن قد ضيّع. فرعاية النّاس أشدّ. قال: فوافقه قولي. فوضع رأسه ساعة ثمّ رفعه إليّ. فقال: إنّ الله- عزّ وجلّ- يحفظ دينه. وإنّي لئن لا أستخلف فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يستخلف. وإن أستخلف فإنّ أبا بكر قد استخلف. قال: فو الله! ما هو إلّا أن ذكر رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم وأبا بكر. فعلمت أنّه لم يكن ليعدل برسول الله أحداً. وأنّه غير مستخلف) [١٠٤].

٣- إن الطفل في مراحله الأولى يكون شديد القابلية للتأثر والتشكّل، فهو كالعجين الطريّ يتخذ الشكل الذي يُصاغ عليه، ويستمد أخلاقه وسلوكياته من محيطه المباشر، وخاصة من الوالدين والمربين. فإذا تُرك دون تهذيب أو توجيه، وتعود الانفعال والغضب أو التمرد والاندفاع، نشأت تلك الطباع في داخله وتشبّعت بها نفسه حتى غدت جزءًا لا يتجزأ من كيانه. ومع مرور الزمن يصعب عليه التخلص منها، مهما حاول إصلاح ذاته. وان جذور كثير من الانحرافات الخلقية تعود إلى غياب التربية الرشيدة في الصغر، فالتربية ليست أمراً عارضاً، بل هي عملية مستمرة من التهذيب والتعويد، تبني شخصية الإنسان وتضبط سلوكه منذ نعومة أظفاره[١٠٥].

٤- قال الدكتور محمّد عليّ الهاشميّ: (الفرد المسلم يشعر بمسئوليّته عن رعيّته: ذلك أنّه ما من تقصير أو تهاون أو تفريط في جنب الله ورسوله، يقع فيه أحد أفراد أسرة هذا المسلم إلّا وهو مسئول عنه:(كلّكم راع، وكلّكم مسئول عن رعيّته ...). وهذه المسئوليّة الّتي يحسّها المسلم الصّادق من جرّاء تفريط أحد أفراد أسرته تخزّ جنبه، فلا يطيق عليها صبرا، ويسارع في إزالة أسبابها مهما تكن النّتائج، فما يصبر على هذه المسئوليّة، وما يطيق السّكوت عليها إلّا رجل في إيمانه ضعف، وفي دينه رقّة) [١٠٦].

٥- قال الدّكتور عليّ أبو العينين: (من المقوّمات الأساسيّة الّتي يقوم عليها المجتمع المسلم أنّه مجتمع مسئول، كلّ فرد فيه مطالب بالمشاركة في تسيير أمور مجتمعه، والمسلمون مسئولون عن بعضهم، ومأمورون بالدّعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر) [١٠٧].

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

المبحث الرابع

تحمل المسؤولية للأب والمربي ووسائل التربية

ان الأب يُربّي أولاده ذكوراً وإناثاً على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم على النحو الآتي[١٠٨]:

أولاً: المسؤوليات الكبرى للأب والمربي:

١. التربية الإيمانية: تأسيس القلب على التوحيد واليقين يبدأ الوالد بزرع الإيمان في قلب ولده منذ لحظة إدراكه، فيلقّنه الكلمات الطيّبة، وأعظمها كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، ويعرّفه منذ بواكير وعيه بمفاهيم الحلال والحرام، ويأمره بالصلاة عند بلوغه السابعة، ويغذّي روحه بمحبة الله عز وجل، ومحبّة نبيه ﷺ، والارتباط بالقرآن الكريم تلاوة وتدبّرًا. كما يعلّمه أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، ويرسّخ فيه مقام الإحسان، بأن يعبد الله كأنّه يراه. ويغرس في نفسه الخشوع، ومقام المراقبة، وتقوى الله في السرّ والعلن.

٢. التربية الخُلُقية: بناء الشخصية على مكارم الأخلاق ثمرة الإيمان الحقّ هي الأخلاق الحسنة، ومن هنا تأتي مسؤولية غرس الفضائل في قلب الطفل، كالصّدق، والأمانة، والحياء، والعفو، وحسن الظنّ، ويُنَفِّره من الرذائل كالكذب، والخيانة، والكبر، وسوء الظن، والأنانية. فتُبنى شخصيته على ميزان القيم الرفيعة التي دعا إليها الإسلام.

٣. التربية الجسدية: صيانة البدن وحفظ العافية على الوالد أن يحرص على تغذية أولاده من الحلال الطيب، ويهتم بصحتهم، وقواعد الوقاية من الأمراض، ومعالجة ما يظهر عليهم من علل. ويُعوِّدهم على الرياضة النافعة كالرماية وركوب الخيل والسباحة إذا أُمنت المفاسد، ويغرس فيهم معاني الرجولة، والجد، والانضباط، مع تطبيق قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" في كل شأن من شؤون حياتهم.

٤. التربية العقلية: تنمية الفكر ومَلَكَة التمييز يحرص الأب على تعليم أولاده ما ينفعهم من العلوم والمعارف، ويُباعد بينهم وبين ما يفسد عقولهم ويضعف إدراكهم، كالمسكرات والمخدرات والتدخين ونحوها من الآفات. ويربّيهم على حب العلم، وحسن الفهم، ونقد الأفكار الفاسدة، وتمييز الصواب من الخطأ.

٥. التربية النفسية: تقوية النفس وتزكيتها يعالج الوالد جوانب الضعف في نفس ولده، فيبعده عن مظاهر الخور، والجبن، والخجل السلبي، والغضب، والحسد، والشعور بالنقص، ويغرس فيه الثقة بالنفس، والصبر، والرضا، والإيمان بالقدر خيره وشرّه، مع الاعتدال في المشاعر والانفعالات.

٦. التربية الاجتماعية: غرس روح المسؤولية والتفاعل الإيجابي يُنشِّئ أولاده على حسن التعامل مع الآخرين، وأداء الحقوق، والتحلي بالرحمة، والإيثار، والشهامة، والعدالة، والعفو عند المقدرة. ويعوّدهم على احترام الكبار، ومعونة الصغار، والتفاعل البنّاء مع مجتمعهم بروح من التقوى والمسؤولية.

٧. التربية الوقائية والزوجية: صيانة الفطرة وستر الغريزة ومن تمام المسؤولية أن يُحذّر أبناءه من الانحرافات الأخلاقية والسلوكية، ويراقب سلوكهم في هذا الباب، ويسعى لتزويج من احتاج منهم، حماية لهم من الفتن، وتحصينًا لفطرتهم، واستجابة للهدي النبوي في ذلك.

ثانياً: الوسائل التربوية الهادفة التي على الأب والمربّي توظيفها لصقل القيم وتوجيه السلوك:

أبرز القحطاني في مؤلَّفه الموسوم بـ(الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة)، وتحديدًا في الصفحة (١٣١)، جملةً من الوسائل التربوية الفعّالة التي ينبغي للمربّي، وعلى رأسهم الأب، أن يتوسّل بها في بناء شخصية الطفل وتنشئته على نهج سليم. ومن هذه الوسائل:

١) القدوة العملية: أن يكون المربي مثالًا يُحتذى به في سلوكه وأخلاقه، فيظهر للولد الاستقامة في العبادة، والسخاء، والزهد، والتواضع، والحلم، والشجاعة، متأسِّيًا في ذلك بالنبيّ الكريم ﷺ، إذ التأثير لا يتحقق إلا حين يجتمع القول مع العمل.

٢) العبادة التربوية: بأن يُنشّئ أبناءه على أداء العبادات منذ نعومة أظفارهم، ويغرس فيهم روح الإخلاص، ويبيّن لهم سنة رسول الله ﷺ في أداء الشعائر، فيتعلّمون الدين سلوكًا لا تلقينًا فحسب.

٣) الوعظ والإرشاد: بأن يستخدم أسلوب التوجيه بالكلمة الطيبة والنصيحة المؤثرة، كما فعل لقمان الحكيم مع ولده، مستعينًا بآيات القرآن وأحاديث السنة لترسيخ المبادئ والقيم.

٤) المتابعة الواعية: أن لا يكتفي المربّي بالتوجيه، بل يراقب سلوك أولاده، ويرصد تصرفاتهم، ويقوم ما يحتاج إلى تعديل برفق وروية، بعيدًا عن العنف أو الإهمال.

٥) التأديب عند الحاجة: وهو ما يُعرف بالتربية بالعقوبة، التي تكون وفق الضوابط الشرعية، كتعزير من يفرّط في الصلاة بعد بلوغ السابعة، وغيرها من العقوبات التأديبية التي تهدف إلى تقويم السلوك دون إلحاق الضرر النفسي أو الجسدي بالولد.

ثالثاً: الركائز التربوية التي يقوم عليها بناء الطفل في رؤية الأب والمربي الواعي:

إن تربية الأبناء مسؤولية عظيمة، تستلزم من الأب والمربي فقهًا في فن التوجيه، وبصيرة في بناء الشخصية، وانطلاقًا من هذا الأساس، تقوم التربية المؤثرة على أربع دعائم رئيسة:

١- التأسيس العقدي العميق: منذ أن يبدأ عقل الطفل في التفتح، ينبغي غرس الإيمان في قلبه، لا مجرد تلقين، بل ترسيخ لأركان العقيدة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، مع تعريفه بمعاني الشهادتين وأركان الإسلام الخمسة بأسلوب يتناسب مع مرحلته العمرية، فينشأ على مراقبة الله، لا على الخوف من الناس.

٢-الإحياء الروحي والتزكية التعبدية: تُبنى الروح بالإيمان، وتُروى بالعبادة. لذلك من المهم أن يُعوَّد الطفل منذ صغره على الصلة بالله تعالى عبر الممارسات التعبدية، بدءًا من الصلاة في وقتها، والتعويد على الصوم بحسب طاقته، والتعرض لبركات القرآن حفظًا وتلاوةً وتدبرًا، ثم الارتباط ببيوت الله تعالى، وتشجيعه على شهود الجماعات والجمَع، وتعويده على الأذكار اليومية والنوافل، كصلاة الضحى، وقيام الليل، وتحية المسجد، مع ترسيخ عبادة الصدقة والزكاة إذا توفرت الإمكانية، حتى يكون قلبه معلقًا بالله

في سره وعلانيته. ويمتد هذا البُعد ليشمل آداب المعاملة، والحقوق المتبادلة، ومكارم الأخلاق، فيعرف الولد حق الله، وحق الخلق، وحق النفس.

٣-التحصين والتوقي من الانحراف: ليس من التربية أن تُهمل مواطن الخطر، بل من الحكمة أن يُنبه الطفل إلى مكامن الانزلاق، مع مراعاة الحكمة والتدرج. فيُحذَّر من الوقوع في الردة، ومن نزغات الإلحاد، ويُوعّى بخطر اللهو الهابط، ويُنبه إلى خطورة السير وراء التقليد الأعمى دون دليل. كما يُرشد إلى خطورة صحبة السوء، ويُحذَّر من المآكل والمشارب المحرمة، والملبس غير المشروع، وكل ما يمكن أن يفتك بالروح أو يفسد الأخلاق.

رابعًا: قواعد نفعية تكميلية تُنمِّي الشخصية: تشتمل هذه الجوانب على أساليب عملية تجعل التربية أكثر فاعلية، ومن ذلك:

١) تحفيز الطفل نحو الأعمال الرفيعة، وتشجيعه على السعي للمكاسب المباحة.

٢) احترام خصوصياته وميوله، مع الترفيه المشروع دون غلو أو تفريط.

٣) تعزيز التعاون بين البيت والمدرسة والمسجد، لتشكيل بيئة تربوية متكاملة.

٤) بناء جسر ثقة بين المربي والطفل، عبر الحوار والمشاركة والاحترام.

٥) تهيئة الوسائل التعليمية المناسبة، والسير وفق منهج يومي متوازن، يراعي حاجاته الروحية والعقلية والجسدية، ويصنع منه إنسانًا نافعًا في دنياه، مفلحًا في آخرته [١٠٩].

المبحث الخامس
شروط تحمُّل المسؤولية في القرآن الكريم

١) أساس المسؤولية: الإرادة والقدرة والإرادة: معنى قائم بالنفس يوجهها نحو الفعل. والقدرة: تنفذ ما كُلِّف به الإنسان، وقد تكون: مالية او عقلية او بدنية.

٢) المسؤولية خاصة بالإنس والجن ؛ لأنهم يمتلكون الإرادة والقدرة. والملائكة: غير مسؤولة لأنها مجبولة على الطاعة، لا تملك الاختيار. والحيوانات: لا مسؤولية عليها لعدم وجود العقل والاختيار.

٣) انتفاء المسؤولية في حالة فقدان العقل إذا فقد الإنسان عقله، سقطت عنه المسؤولية بكل درجاتها: من الإيمان (المسؤولية العليا) إلى مسؤولياته الدنيوية (المسؤولية الدنيا) .

٤) القرآن يربط المسؤولية بالإرادة والعقل مثال ذلك قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)[١١٠]. والعرض: يدل على الاختيار والحرية. والتحمل كان اختياريًا من الإنسان.

٥) انتفاء المسؤولية عند الإكراه أو الخطأ أو النسيان في الإكراه: وفي حديث ابن عمر: ((عُرضت على رسول الله وأنا ابن أربع عشرة فردَّني، وعرضت عليه وأنا ابن خمس عشرة فأجازني))[١١١] وحيثما ثبتت المسؤولية دلَّت على وجود الإرادة والقدرة، وبارتفاعهما ترتفع، ففي الإكراه تنتفي المسؤولية، قال تعالى: (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)[١١٢] وفي الخطأ أو النسيان تنتفي المسؤولية الأخروية، قال تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)[١١٣].

٦) المسؤولية الدنيوية لا ترتبط بالتكليف تظل قائمة حتى في حال فقدان العقل؛ لأنها من متعلقات الحكم الوضعي.

٧) تكليف ما لا يُطاق: غير واقع شرعًا وإن جاز عقلًا عند المتكلمين، لكنه غير موجود واقعيًا.

كل أوامر الله ضمن طاقة الإنسان وليس من شرطه التكليف، وأما حديث المتكلمين عن جواز تكليف الله تعالى عبادَه بما لا يُطاق فهو في الجواز العقلي لا الشرعي؛ فليست له تطبيقات واقعية، وكلُّ ما أمر الله به أو نهى عنه مقدورٌ للإنسان، قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا)[١١٤] ، وقال سبحانه (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ)[١١٥].

٨) أبرز خصائص المسؤولية في القرآن الكريم المسؤولية شخصية وهي لا يحمل أحد وزر غيره.

قال تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[١١٦]، وقال تعالى: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [١١٧].

٩) الفرار من الأقارب يوم القيامة: قوله تعالى: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)[١١٨]. دليل على أن المسؤولية لا تُنقل أو تُشارك.

١٠) المسؤولية الغيرية موجودة من وجه وهي ان الإنسان يُسأل عن غيره في حال: إذا ضلَّل غيره أو أفسده. قال تعالى: (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)[١١٩]، ومن ذلك أنْ يسُنَّ سنة سيئة، قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))[١٢٠].

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

المبحث السادس

الأسُس النظرية للمسؤولية

١- المسؤولية والأخلاق: الأخلاق هي أفعال اختيارية تصدر عن الْمُكلَّف ويُناط بها المدح أو الذم، وبذلك ندرك علاقة الأخلاق بالمسؤولية نظريًّا من ثلاثة أوجه: الأول: ثبوت الاختيار للإنسان، وهذا وصف مشترك بين المسؤولية والفعل الأخلاقي، فما يصدر عن الْمُكرَه لا يتحمل الشخصُ مسؤوليَّته ولا يُعدُّ مذمومًا عليه أخلاقيًّا. والثاني: التَّكليف وهو شرط تحمُّلِ المسؤولية ويندرج تحت القدرة، وهو شرطٌ أيضًا لتحمل مسؤولية الفعل الأخلاقيّ، فإذا انتفى التَّكليفُ لعارضٍ من عوارضه كالجنون والصِّغر انتفت المسؤولية وانتفَى الفعلُ الأخلاقيُّ. والثالث: المدحُ على الفعلِ والذمُّ على الترك، وهما ملازمان للفعل الأخلاقي، فقول الصدق وأداء الحقوق وترك القبائح مسؤولية وهو في الوقت نفسِه فعل أخلاقي يُمدَح فاعله، والقتل ظلمًا وإهدار الحقوق يُذم مرتكبه لأنَّه أخلَّ بالمسؤولية، وهو فعل غير أخلاقي أيضًا؛ لذا لا تدخل المباحات كالنوم والشرب في مسمَّى المسؤولية ولا في الفعل الأخلاقي إلا إذا تجاوزت المباحات حدودها وأثَّرت في غيرها، عندئذٍ تثبت المسؤولية ويُوصف الفعل بأنه غير أخلاقي، ومنه السهر والإفراط في النوم المؤديان إلى التفريط بالحقوق من صلاة أو وظيفةٍ ونحوهما. وعمليًّا ثمَّة ارتباط بين المسؤولية والفعل الأخلاقي، والآيات في هذا من الكثرة بمكان، من ذلك قول الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) [١٢١].

٢-المسؤولية والتكريم الإلهي: الإنسانُ الْمُكرَّم هو الإنسان المسؤول، وأساس ذلك العقل قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)[١٢٢] يقول الشيخ ابن عاشور: (فَأَمَّا التَّكْرِيمِ فَهِيَ مَزِيَّةٌ خَصَّ بِهَا اللَّهُ بَنِي آدَمَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِيَّةِ...، وَالتَّكْرِيمُ: جَعْلُهُ كَرِيمًا، أَيْ نَفِيسًا غَيْرَ مَبْذُولٍ وَلَا ذَلِيلٍ فِي صُورَتِهِ وَلَا فِي حَرَكَةِ مَشْيِهِ وَفِي بَشَرَتِهِ، فَإِنَّ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ لَا يَعْرِفُ النَّظَافَةَ وَلَا اللِّبَاسَ وَلَا تَرْفِيهَ الْمَضْجَعِ وَالْمَأْكَلِ وَلَا حُسْنَ كَيْفِيَّةِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَا الِاسْتِعْدَادَ لِمَا يَنْفَعُهُ وَدَفْعَ مَا يَضُرُّهُ، وَلَا شُعُورَهُ بِمَا فِي ذَاتِهِ وَعَقْلِهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ فَيَسْتَزِيد مِنْهَا وَالْقَبَائِحِ فَيَسْتُرهَا وَيَدْفَعهَا)[١٢٣].

٣- المسؤولية والجزاء بين النية وفعل الجوارح: الجزاءُ الإلهيُّ في الدنيا والآخرة سواء أكان تكريمًا أم تعذيبًا، والجزاء الدنيوي العادل في الدنيا سواء أكان عقوبة أم تكريمًا؛ كلاهما مرتبط بأداء المسؤوليات، فمن قام بمسؤولياته حق القيام استحق الثواب، ومن أخلَّ بالمسؤولية استحق العقاب، ويربط القرآن الكريم أداء المسؤولية بفعل الجوارح والنية، فحُسْن النية مثلا ومحبة الخير للمسلمين جزء من المسؤولية، قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[١٢٤]، ولكن القيام بالفعل وحده دون طلب الثواب من الله تعالى يُسقط المسؤولية وإن كان المكلف مقصِّرًا لتفريطه بالثواب، فلو ترك الإنسان القتل والزنا وشهادة الزور مثلًا خوفًا من الناس لا يُثاب على هذا الترك وإن امتثلَ لمقتضى المسؤولية؛ ذلك أنَّ المقصود بتحمُّل المسؤولية هو الجانب الدنيوي الذي يعود نفعه إلى الغير، أما النية في مثل هذه الأحوال فيعود نفعها إلى الفاعل، ومن ذلك الإنفاق على الزوجة، فالمقصود هو كفاية من يعوله المكلَّف أما نيّة الامتثال لأمر الله فهي للحصول على الأجر. وبين المسؤولية والجزاء تلازم، فالتفريط بالمسؤولية يترتب عليه جزاء، وقد بيَّنت قواعد الشريعة أن العفو عن العقوبة الأخروية عند الإخلال بالمسؤولية إنما يكون في حقوق لله تعالى، وقد تسقط العقوبة الدنيوية أيضًا ما لم تكن حدًّا بلغَ القاضيَ خبره، أما حقوق الناس فإسقاط عقوباتها الدنيوية والأخروية مرهون بعفو أصحابها في الدَّارين، فمن مسؤوليات الشخص أن لا يقتل ولا يغتصب ولا يظلم، ومن فعل أخلَّ بمسؤوليته، فإسقاط الله لعقوبة هذه الجرائم رهنٌ بإسقاط أصحابها لها، وهذا المبدأ يُمثِّل أعظم حقٍّ إنساني متعارف عليه اليوم؛ فليس للرئيس أو الخليفة إسقاط عقوبة يتعلق بها حق لآدمي شرعًا [١٢٥] .

٤-المسؤولية والتكليف: مصدر المسؤوليات عند أهل السنة هو الوحي، فما حسَّنه الشرع فهو حسن وما استقبحه فهو قبيح، وهذا هو مقتضَى التكليف، فالعقل مناطه وبعثة الرسل شرطه، قال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [١٢٦] خلافًا للمعتزلة الذين يرون العقل مُحسِّنًا ومُقبحًا، وتتسع دائرة الشرع في ضبط المسؤوليات لتشمل أغلب شؤون الحياة، ولا ننسَ أن مسؤوليات العرف مسؤوليات شرعية؛ فالعرف مصدر من مصادر التشريع [١٢٧].

٥- المسؤولية والحكمة الإلهية: التزام الناس بمسؤوليات شخصية وغير شخصية هو غاية الحكمة من الخلق وإلا صار خلق الناس عبثًا، وهو محال على الله، فالإنسان لم يُخلق سُدًى ولا عبثاً بلا مسؤولية، يقول سبحانه وتعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) [١٢٨]، وقوله: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [١٢٩].

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

المبحث السابع

التنصل من المسئولية

ان فائدة الالتزام بالمسؤولية تشعر بوجوب أداء الأمانة أمام الله وأمام النّاس. والإخلاص في العمل والثّبات عليه. وكسب ثقة النّاس واعتزازهم به. ويشعر الشّخص المسئول بالسّعادة تغمره كلّما قام بتنفيذ عمل نافع. وكلّ مسئول بقدر استطاعة تحمّله ولا يخلو أحد من المسئوليّة مهما قلّت منزلته في المجتمع. وتجعل بنيان الدّولة قويّا غير قابل للتّصدّع عند التّعرّض للمحن والحروب. والمسئوليّة تجعل للإنسان قيمة في مجتمعه [١٣٠].

والتّنصّل والتّهرّب من المسئولية: لم تذكر كتب المصطلحات الّتي وقفت عليها هذين اللّفظين ضمن ما أوردته من ألفاظ اصطلاحيّة، ومن ثمّ يكون معناهما في المجال الأخلاقيّ باقيا على أصل معناهما في اللّغة، ويمكننا أن نستنبط هذا التّعريف في ضوء ما ذكره أهل اللّغة والتّصريف فنقول: التّنصّل من المسئوليّة والتّهرّب منها يعني التّبرّؤ من الالتزام بما سبق للإنسان تحمّله من مسئوليّة والخروج من عهدة ذلك شيئا فشيئاً. ويمكن أن نقول أيضا: إنّ ذلك يعني التّخلّص التّدريجيّ ممّا سبق للشّخص أن تعهّد به والتماس عذر غير حقيقيّ للتبرّؤ من تبعة التّقصير في الأداء. وهي صفة من صفات النّفاق وخصلة من خصال المنافقين. وتفشوّ المفسدين في مجتمع المسلمين. ويحمل صاحبه على الكذب، والحلف الكاذب. ومن لم يقبل عذر من تنصّل حرم من الورود على الحوض. والمتنصّل يستحقّ عذاب الله ومقته. والمتنصّل من المسئوليّة مبغض عند الله وعند النّاس. والمتنصّل من المسئوليّة يستصغره النّاس ويحتقرونه. والتّنصّل من المسئوليّة مخالف لصفات الرّجولة ومخلّ بالمروءة. وداء التّنصّل من المسئوليّة من الأمراض الاجتماعيّة الخطيرة الّتي تفقد النّاس الثّقة فيما بينهم. والتنصّل من المسئوليّة والتّهرّب منها ينجم عنه الفوضى والإخلال بالالتزامات الأدبيّة والماديّة وضياع الحقوق. والتّنصّل من المسئوليّة يؤدّي إلى تعطيل الأعمال وتأخير مواعيدها لأنّ البحث عن بديل للمتنصّل لا يتيسّر دائما أو في الوقت المناسب. والتّهرّب من المسئوليّة أو التّنصّل منها يتنافى مع حمل الأمانة الّتي شرّف الله بها الإنسان [١٣١].

الخاتمة:

بعد الاطلاع المتأنّي على أبرز المصادر والمراجع الشرعية والعلمية، تبيّن لنا النتائج التالية:

١) تكريم الإنسان بمسؤولية الاختيار: تتجلّى عظمة تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان في تكليفه بالمسؤولية، إذ جعله مكلفًا محاسبًا على أفعاله وأقواله، سواء أمام الله تعالى في الآخرة، أو أمام نفسه التي تُحاسبها، وأمام مجتمعه الذي يتأثر بسلوكياته، فالمسؤولية هي عنوان العبودية الحقة والاختيار الحر الذي مكن الله الإنسان منه.

٢) منظومة قرآنية متكاملة: احتوى القرآن الكريم على منظومة متجانسة من المبادئ والقيم السامية التي توجه فكر الإنسان وسلوكه نحو الخير والحق والعدل، وتربطه بوثيقة المسؤولية التي تدعو إلى الإحسان، والعدل، والمساواة، والوفاء بالعهود، وتحقيق المصلحة العامة.

٣) شرط الإرادة والقدرة: ترتبط المسؤولية البشرية ارتباطًا وثيقًا بوجود الإرادة والقدرة، فهما الشرطان الأساسيان للتكليف الشرعي، فلا يُؤاخذ الإنسان على ما لا يقدر عليه ولا يُجبر عليه، إذ تمثل الإرادة مجال اختيار العمل، والقدرة مجال إمكانية إنجازه، فإذا غابت أحدهما سقط التكليف والمسؤولية.

٤) التوازن بين الفرد والمجتمع: رسخ الإسلام مفهوم التوازن الدقيق بين مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه، ومسؤولية المجتمع تجاه أفراده، بحيث يُراعى في ذلك المصلحة الكلية التي تضم الفرد ضمن إطارها، ما يضمن حفظ الحقوق وتحقيق الاستقرار والنماء، ويمنع الانفراد أو الإهمال.

٥) المسؤولية الوطنية والشرعية: يتحمل كل مسلم مسؤولية مباشرة في حماية وطنه وأمنه واستقراره وتنميته، ويتعين عليه أن يلتزم بالقيم الإسلامية السامية والأنظمة المشروعة، مع اجتناب كل ما من شأنه أن يُحدث فتنة أو يزرع الفرقة أو ينشر الشائعات والفساد، فالمسؤولية الوطنية واجب شرعي وضمير أخلاقي.

٦) تحقيق مقاصد الشريعة: من خلال هذه المسؤوليات، تتحقق مقاصد الشريعة الخمسة العظيمة (حفظ الدين، النفس، العقل، المال، والنسب/النسل)، مما يؤدي إلى بناء مجتمع متماسك يسوده الخير، والعدل، والطمأنينة، والاستقرار، ويعزز النماء والتقدم في جميع مجالات الحياة.

الهوامش:

(١) المصدر الصناعي هو اسم يُشتق من الفعل بحيث يُنسب إليه، ويُكوَّن عادةً بإضافة ياء مشددة بعدها تاء مربوطة، مثل: "حرية" و"رفاهية". ويُعبّر هذا النوع من المصادر عن معنى مُشتق مرتبط بالفعل الأصلي، وهو من أشكال الاشتقاق اللغوي التي توضّح العلاقة بين الاسم والفعل. (المعجم الوسيط ٤٥/١)

(٢) سورة التكوير الآية (٨).

(٣) سورة الأحزاب من الآية (٥٣).

(٤) سورة النساء الآية (٣٢).

(٥) سورة الصافات الآية (٢٤).

(٦) سورة الرحمن الآية (٣٩)

(٧) البخاري، الجامع المسند الصحيح رقم (٤٤١٨)، ٦/ ٩٩

(٨) المفردات للراغب (٢٥٠)، والصحاح (٥/ ١٧٢٣)، والنهاية (٢/ ٣٢٨)، ولسان العرب (س أل) (٣/ ١٩٠٦) ط. دار المعارف

(٩) انظر المعجم الوسيط ١/ ٤١٣ والمنجد (٣١٦)، ومحيط المحيط (٣٩٠)

(١٠) دستور الأخلاق في القرآن (١٣٨)

(١١) علم الأخلاق: دراسة نظرية وتطبيقية متكاملة تُعنى بفهم القيم والمبادئ التي تنظم السلوك الإنساني، وتطبيقها في الحياة العملية لتحقيق الخير والفضيلة.

(١٢) نَظْرَة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم –، جـ ٨، ص ٣٤٠١.

(١٣) سورة المؤمنون الآية (١١٥).

(١٤) سورة القيامة الآية (٢٦).

(١٥) سورة الجاثية الآية (٢٩).

(١٦) سورة الأحزاب الآية (٧٢).

(١٧) يُراجع في ذلك كتاب دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز، صـ ١٣٨.

(١٨) المقصود بهذا البيان: أن الأمر يتعلّق بما هو داخل في نطاق الإرادة والاختيار لدى المكلَّف، على خلاف الأفعال التي تصدر عن سائر المخلوقات بطبيعتها دون اختيار منها. يُنظر: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، صـ ١٣٨.

(١٩) يُراجع تفسير النيسابوري، المطبوع في هامش تفسير الطبري، المجلد العاشر، الجزء الثاني والعشرون، صـ ٣٤.

(٢٠) انظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، جـ ٧، صـ ٢٤٤، مع ملاحظة أنّ النقل هنا بتصرّف واختصار.

(٢١) جاء في تفسير ابن كثير (جـ ٣، صـ ٥٣٠) ما يدل على أن الأمانة المقصودة في الآية هي "التكليف"، وقد سبق بهذا التفسير ما أورده الأستاذ العقاد لاحقًا، إذ إن ابن كثير صرّح به أو ألمح إليه بما يدل عليه. يُراجع في هذا السياق أيضًا: الإنسان في القرآن، صـ ٤٢.

(٢٢) يُنظر مرة أخرى: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، صـ ١٣٨، لما فيه من تفصيل مهم حول الموضوع.

(٢٣) إنّ نطاق المسؤوليّة لدى الإنسان يرتبط بالإمكان، إذ يتحدد تكليفه ضمن حدود قدرته واختياره، بينما تُرفع المسؤوليّة عن سائر المخلوقات غير المكلّفة – كالأرض والجبال – بحكم خضوعها للضرورة وعدم امتلاكها لإرادة مستقلة.

(٢٤) وقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ "الأمانة" الواردة في النص القرآني تشير إلى "العقل"، بوصفه الأداة التي تُدرَك بها حقيقة التوحيد، ويُقام بها ميزان العدل. راجع في ذلك: "المقدّمة اللغوية لصفة الأمانة" وكتاب دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور دراز، ص ١٣٨.

(٢٥) قال تعالى في سورة النور: {وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم} [النور: ٥٤].

(٢٦) وقال سبحانه في سورة الجمعة: {مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً...} [الجمعة: ٥].

(٢٧) انظر: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، ص ١٣٨.

(٢٨) ورد تفسير هذه الآية في تفسير النيسابوري ج ٢٢، ص ٣٥ (في حاشية الطبري)، وانظر أيضًا تفسير ابن كثير ٥٣٢/٣.

(٢٩) انظر: تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٢٥٥.

(٣٠) قال تعالى: {ثم استوى إلى السماء وهي دخانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين} [فصلت: ١١].

(٣١) وقال سبحانه: {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا...} [الأعراف: ١٧٢].

(٣٢) حول المعنى المجازي للأمانة في هذا السياق، وما يُمكن الاستغناء عنه من التصويرات البلاغية، انظر تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٢٥٦، مع تلخيص وتصرف من دستور الأخلاق في القرآن، ص ١٣٨، هامش (٢).

(٣٣) وقد جمع الدكتور دراز بين النوعين الأول والثالث من المسؤولية، مفصّلًا في شروطها، التي يمكن تلخيصها في: أن يكون الفعل صادرًا عن الفرد بشخصه، مع توفر الحرية في الاختيار، وتمام الوعي بالشرع وأحكامه. راجع تفصيل ذلك في دستور الأخلاق في القرآن (ص ١٤٨–٢٢٢).

(٣٤) سورة البقرة الآية (١٧٨) .

(٣٥) سورة الحديد الآية (٨).

(٣٦) سورة المائدة الآية (٧).

(٣٧) سورة الحجر (٩٢. ٩٣).

(٣٨) سورة الأعراف الآية (٦).

(٣٩) سورة الزلزلة الآيتين (٧– ٨).

(٤٠) سورة ق الآية (١٨).

(٤١) سورة الإسراء الآية (٢٦).

(٤٢) سورة التكاثر الآية (٨).

(٤٣) أخرجه الترمذي، وقال حسن صحيح (٢٤١٩).

(٤٤) سورة البقرة الآية (١٤١).

(٤٥) سورة سبأ الآية (٢٥).

(٤٦) سورة الإسراء الآية (٥١).

(٤٧) سورة الإسراء الآية (٣٣).

(٤٨) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٨٩٣) – كتاب الجمعة، ومسلم (٢٠).

(٤٩) سورة المائدة الآية (٨).

(٥٠) سورة النساء الآية (١٣٥).

(٥١) سورة ص الآية (٢٠).

(٥٢) بإسناده مع زيادة في المتن في مصنف عبد الرزاق ٤٦٩/٩

(٥٣) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح –حديث رقم– (٤٧٧١) – كتاب التفسير.

(٥٤) صفة الصفوة، لابن الجوزي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١/ ١٠٦.

(٥٥) صحيح وضعيف «تاريخ الطبري، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، محمد بن طاهر البرزنجي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، اسناده مرسل ضعيف، ٨/ ٤٢٢.

(٥٦) التحصيل من المحصول سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرْمَوي، ١/ ٩٩.

(٥٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لابي نعيم الاصفهاني، ١/ ٥٣.

(٥٨) سورة الأنعام الآية (١٦٠).

(٥٩) سورة القصص الآية (٨٤).

(٦٠) سورة الحديد الآية (٢٥).

مجلة درر للدراسات الإسلامية
DURAR JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
E-ISSN 3006 - 1652 P-ISSN 3006 - 1644
المجلد: الثاني العدد: الأول
تاريخ النشر 2025/06/30

(٦١) سورة الرحمن الآيات (٧- ٩)

(٦٢) انظر دستور الأخلاق في القرآن لدراز (١٤٨- ٢٢٢). وقارن بما ذكره الدكتور كمال عيسى في «كلمات في الأخلاق الإسلامية (١٢٢- ١٣٠)»

(٦٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ٨/ ٣٤٠٦.

(٦٤) سورة المائدة الآية (٢).

(٦٥) سورة هود الآية (٧).

(٦٦) سورة التوبة الآية (١٢٢).

(٦٧) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن (٢٠٠- ٢٠١).

(٦٨) سورة المائدة الآية (٢).

(٦٩) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ٣٤٠٧/٨.

(٧٠) سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٧١) سورة النساء الآية (٩٧).

(٧٢) سورة الحج الآية (٤١).

(٧٣) أصول الدعوة (١٣٢- ١٣٦) بتصرف واختصار

(٧٤) سورة الحجر الآيتين (٩٣.٩٢)

(٧٥) ينظر: التفسير الوسيط سيد طنطاوي، ٨/ ٨٣.

(٧٦) جامع البيان للطبري، ١٧/ ١٥٠. والأساس في التفسير، سعيد حوى، ٦/ ٢٩٠٣.

(٧٧) لطائف الإشارات تفسير القشيري، ٢/ ٢٨٢.

(٧٨) سورة النحل من الآية (٩٣).

(٧٩) ينظر: التفسير الوسيط، ٨/ ٢٢٧.

(٨٠) التفسير الكبير مفاتيح الغيب للإمام الرازي، ٢٠/ ٢٦٥.

(٨١) لطائف الإشارات تفسير القشيري، ٢/ ٣١٧. الشاعر الشهير قيس بن الملوح العامري، أحد أبرز شعراء الغزل العذري في العصر الأموي،

(٨٢) سورة الاسراء الآية (٣٦).

(٨٣) ينظر: الجامع لإحكام القران للقرطبي، ١٠/ ٢٥٧. والتفسير الوسيط، ٨/ ٣٥٠.

(٨٤) ينظر: الأساس في التفسير، ٣٠٦٩/٦.

(٨٥) سورة الأحزاب الآية (١٥).

(٨٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، دار إحياء التراث – بيروت،٣/ ٤٨٠. والتفسير الوسيط، ١١/ ١٨٧.

(٨٧) لطائف الإشارات تفسير القشيري، ٣/ ١٥٥.

(٨٨) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر (دمشق – سورية)، ٢١/ ٢٦٩.

(٨٩) رواه أحمد (١٣/٤-١٤)، واللفظ له، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٣/١٠): "رواه عبد الله والطبراني بمعناه، وأحد طريقي عبد الله إسناده متصل ورجاله ثقات."

(٩٠) فسأل عن الجماعة: أي استفسر عمّن دخلوا عليه، وكان في تلك المرحلة قد فقد بصره في أواخر عمره، ولذلك سأل عنهم. يُنظر: نضرة النعيم، إعداد مجموعة من الباحثين، بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، ٣٤١٢/٨.

(٩١) فنزع زِرَّه الأعلى: أي فكّ الزرّ الأعلى من قميصه، حتى ينكشف صدره، وذلك بقصد إخراج عورته. صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ٨٨٦/٢.

(٩٢) "كحرمة يومكم هذا": أي إن حرمة دمائكم وأموالكم وأعراضكم مؤكدة ومغلظة، كحرمة هذا اليوم الجليل. صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ٨٨٦/٢.

(٩٣) بكلمة الله: اختلف العلماء في معناها، فقيل: المقصود قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وقيل: كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، لأنها شرط في صحة الزواج، فلا تحلّ المسلمة لكافر. وقيل: المقصود الآية الكريمة: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾، وهذا القول الأخير هو الأرجح. صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ٨٨٦/٢. (٩٤) ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه: قال الإمام النووي: المختار أن معناه: أن لا يأذنّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلا أجنبيّا أو امرأة أو أحدا من محارم الزوجة. ينظر: نضرة النعيم ٤/ ١٣٣٠.

(٩٥) قوله: "فاضربوهن ضربًا غير مبرّح"، أي ضربًا لا يُفضي إلى أذى شديد أو ضرر بالغ، فالضرب المبرّح هو الشديد المؤلم المرهق. والمعنى: فليكن الضرب خفيفًا غير مشقٍ. والبرح: هو المشقة والشدّة. يُنظر: نظرة النعيم (٣٤١٣/٨).

(٩٦) قوله: "كتاب الله"، بالنصب على البدلية مما قبله، ويجوز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو كتاب الله. يُنظر: مغني اللبيب لابن هشام، ص٢٢.

(٩٧) في قوله: "وينكتها إلى الناس"، الرواية فيه بالتاء المثناة الفوقية، وهي بعيدة في المعنى، وقيل: الصواب "ينكبها" بالباء الموحدة، وقد رويت الروايتان في سنن أبي داود: بالتاء من طريق ابن العربي، وبالباء من طريق أبي بكر التمار، ومعناها: يقلبها ويردّدها إلى الناس مشيرًا إليهم. ومنه: "نكب كنانته" أي قلبها. يُنظر: نظرة النعيم (٣٤١٣/٨).

(٩٨) الصخرات هي صخور مفروشة في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الواقع في وسط أرض عرفات، ويُستحب الوقوف عندها في يوم عرفة. يُنظر: صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (٨٨٦/٢).

(٩٩) في قوله: "وجعل حبل المشاة بين يديه"، روي "حبل" بالحاء المهملة، و"جبل" بالجيم. قال القاضي عياض رحمه الله: الرواية الأولى أصح وأقرب للسياق، و"حبل المشاة" أي جمعهم ومجتمعهم، أما "جبل" فالمقصود به طريقهم. يُنظر: نظرة النعيم (١٣٣١/٤).

(١٠٠) حتى غاب القرص: قيل إن الصواب: "حين غاب القرص"، ويُحتمل صحة اللفظ كما هو، ويكون قوله "حتى غاب القرص" تفسيرًا لقوله: "غربت الشمس وذهبت الصفرة"، فإن هذه العبارات قد تُطلق مجازًا على غياب معظم الشمس، فأزال اللبس بقوله: "حتى غاب القرص". والله أعلم. يُنظر: نظرة النعيم (٣٤١٣/٨).

(١٠١) قوله: "وقد شنق للقصواء": الشنق هو ضمّ الشيء وتضييقه، والمعنى: ضمّ لجام الناقة وأحكمه. يُنظر: صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (٨٨٦/٢).

(١٠٢) صحيح مسلم (١٢١٨).

(١٠٣) كلمات في الأخلاق الإسلامية، ص (١٢٩).

(١٠٤) صحيح البخاري – الفتح (٧٢١٨/١٣)، وصحيح مسلم (١٨٢٣)، واللفظ لمسلم.

(١٠٥) ينظر: التفسير الوسيط، ٨/ ٣٥٣.

(١٠٦) شخصية المسلم، ص (١٤–١٥).

(١٠٧) التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي، ص (٥٤). (١٠٨) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام، لعبد الله علوان ١/ ١٥٥ – ٦١١. والأخلاق في القران الكريم للشيرازي، مؤسسة ام ابيها ، ٥٥/١.

(١٠٩) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام، لعبد الله بن ناصح علوان دار السلام، بيروت، لبنان ٢/ ٦٣١.

(١١٠) سورة الأحزاب الآية (٢٧).

(١١١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية – تونس، ١٩٨٤ هـ، ٢٢/ ١٢٥، والحديث رواه الترمذي في سننه وقال: "هذا حديث حسن صحيح". الجامع، كتاب أبواب النكاح، باب ما جاء في حد بلوغ الرجل والمرأة، رقم: ١٣٦١، ورواه ابن حبّان في صحيحه، ١١/ ٢٩، وترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(١١٢) سورة النحل الآية (١٠٦).

(١١٣) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(١١٤) سورة النساء الآية (٢٨).

(١١٥) سورة المائدة الآية (٦).

(١١٦) سورة الأنعام الآية (١٦٤).

(١١٧) سورة الشعراء الآيتين (٨٨.٨٩).

(١١٨) سورة عبس: الآيات (٣٤.٣٧).

(١١٩) سورة النحل الآية (٢٥).

(١٢٠) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم: ١٠١٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٢١) سورة النساء الآية (٣٦).

(١٢٢) سورة الإسراء الآية (٧٠).

(١٢٣) التحرير والتنوير:٤/ ١٩٣.

(١٢٤) سورة النور الآية (١٩).

(١٢٥) التحرير والتنوير:٤/ ١٩٣.

(١٢٦) سورة الإسراء الآية (١٥).

(١٢٧) التحرير والتنوير:٤/ ١٩٣.

(١٢٨) سورة القيامة الآية (٣٦).

(١٢٩) سورة المؤمنون الآية (١١٥).

(١٣٠) ينظر: السياسة الشرعية والقضاء، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت، ١/ ٤٠٥. والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، ١٠/ ٢٦٢. والفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر – سوريَّة – دمشق، ٧/ ٥٠٢٠.

(١٣١) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ١/ ٤٤٩. والتيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع (معاصر)، دار الإيمان – الإسكندرية، ص ١١٩. ومَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ، خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ص ٤١٤.

تضارب المصالح:

أقر لكم بعدم وجود تضارب مصالح مالي أو شخصي قد يؤثر في نتائج هذا البحث أو تفسيره تم إجراء هذا العمل العلمي باستقلالية تامة دون تأثير من أي جهة خارجية. مع فائق التقدير والاحترام.

Conflict of Interest

I hereby declare that there is no financial or personal conflict of interest that could affect the results or interpretation of this research. This scientific work was conducted with complete independence, without any influence from external parties. With utmost appreciation and respect.

الشكر والعرفان:

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الأخ العزيز الأستاذ الدكتور فاضل أحمد حسين الجواري المعاون العلمي لعميد كلية العلوم الإسلامية جامعة ديالى تقديرًا لجهوده العلمية المباركة، ودعمه المتواصل لمسيرة البحث الأكاديمي والدراسات الإسلامية، وما يبذله من عطاء فكري متميز أثْرى به الساحة العلمية وأسهم في ترسيخ معايير الجودة والرصانة في ميدان البحث والتأليف.

كما نُعرب عن بالغ التقدير والثناء للدور الريادي الذي تنهض به مجلة درر للدراسات الإسلامية، لما تقدّمه من إسهامات علمية رصينة، وما تمثّله من منبر معرفي أصيل يفتح آفاق الفكر والاجتهاد أمام الباحثين والمهتمين بقضايا الفكر الإسلامي الأصيل.

نسأل الله تعالى أن يبارك في جهود الأستاذ الدكتور الجواري، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يوفّق القائمين على المجلة لما فيه خدمة العلم والدين والمجتمع، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتهم يوم الدين. مع خالص التقدير والاحترام.

Acknowledgment:

I extend my sincere thanks and profound appreciation to my dear colleague, Professor Dr. Fadel Ahmed Hussein Al-Juwari, the Scientific Assistant to the Dean of the College of Islamic Sciences at the University of Diyala, in recognition of his blessed academic efforts and his continued support for the advancement of academic research and Islamic studies. His outstanding intellectual contributions have enriched the scientific field and helped to reinforce standards of quality and rigor in research and authorship.

We also express our deep appreciation and praise for the pioneering role undertaken by Durrar Journal for Islamic Studies, for its valuable and rigorous scholarly contributions, and for serving as a distinguished intellectual platform that opens wide horizons of thought and ijtihad for researchers and those concerned with authentic Islamic thought.

We ask Allah Almighty to bless the efforts of Professor Dr. Al-Juwari, to reward him abundantly, and to grant success to those in charge of the journal in their noble service to knowledge, religion, and society. May all of this be recorded in the balance of their good deeds on the Day of Judgment.

With sincere appreciation and respect.

References:

The Holy Qur'an

1. Ihya' 'Ulum al-Din by Imam al-Ghazali, Dar al-Ma'rifa – Beirut.
2. Adab al-Shafi'i wa Manaqibuhu by Abu Hatim al-Razi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut – Lebanon.
3. Al-Bahr al-Madid fi Tafsir al-Qur'an al-Majid by Ibn 'Ajiba al-Hasani, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut.
4. Tarikh Isfahan by Abu Nu'aym al-Isfahani, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut.
5. Tarikh al-Tabari by Imam Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir al-Tabari, edited by Muhammad ibn Tahir al-Barzanji, Dar Ibn Kathir, Damascus.
6. Al-Tahrir wa al-Tanwir by Muhammad al-Tahir ibn 'Ashur, Al-Dar al-Tunisiyya – Tunisia, 1984 AH.
7. Tafsir al-Tustari by Abu Muhammad Sahl al-Tustari, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut.
8. Tafsir al-Qur'an al-'Azim by Ibn Kathir, Dar Taybah li-l-Nashr wa al-Tawzi'.
9. Thematic Tafsir (University of Al-Madinah International, curriculum).
10. Al-Tafsir al-Wasit li-l-Qur'an al-Karim by Muhammad Sayyid Tantawi, Dar Nahdat Misr for Printing and Publishing.
11. Lata'if al-Isharat by Imam al-Qushayri, Egyptian General Book Organization – Egypt.
12. Tafsir Muqatil ibn Sulayman, Dar Ihya' al-Turath – Beirut.
13. Tahdhib al-Akhlaq wa Tathir al-A'raq by Abu 'Ali Miskawayh, Maktabat al-Thaqafa al-Diniyya.
14. Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan by al-Sa'di, Al-Risalah Foundation.
15. Al-Taysir fi Usul wa Ittijahat al-Tafsir by 'Imad 'Ali 'Abd al-Sami' (contemporary), Dar al-Iman – Alexandria.
16. Jami' al-Usul fi al-Awliya' by Ahmad Diya' al-Din, Dar al-Fikr, Beirut.
17. Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Qur'an by al-Tabari, Dar al-Tarbiyah wa al-Turath – Mecca.
18. Jami' al-Bayan by al-Tabari, Dar al-Fikr, Beirut.
19. Al-Jami' al-Musnad al-Sahih by Imam al-Bukhari, Dar al-Fikr.
20. Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an by al-Qurtubi, Dar al-Kutub al-Misriyya – Cairo.
21. Haqa'iq al-Tafsir by Abu 'Abd al-Rahman al-Sulami, Dar al-Fikr.
22. Hilyat al-Awliya' wa Tabaqat al-Asfiya' by Abu Nu'aym al-Isfahani, Matba'at al-Sa'ada – near Cairo Governorate.
23. Al-Durr al-Manthur by Imam al-Suyuti, Dar al-Fikr – Beirut.
24. Al-Risala al-Qushayriyya by Imam al-Qushayri, Dar al-Ma'arif, Cairo.
25. Risala La Yu'awwal 'Alayh by Ibn 'Arabi, Dar al-Fikr.
26. Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim wa al-Sab' al-Mathani by al-Alusi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut.
27. Rawd al-Rayahin by al-Yafi'i, Mustafa al-Babi wa Ikhwanuhu – Egypt.
28. Zad al-Masir fi 'Ilm al-Tafsir by Ibn al-Jawzi, Dar al-Kitab al-'Arabi – Beirut.
29. Zahra al-Tafasir by Muhammad Abu Zahra, Dar al-Fikr al-'Arabi.
30. Al-Siraj al-Munir fi al-I'ana 'ala Ma'rifat Ba'd Ma'ani Kalam Rabbina al-Hakim al-Khabir by al-Sharbini, Bulaq Press.
31. Sunan Abi Dawud by Imam Abu Dawud, Al-Matba'a al-Ansariyya, Delhi – India.
32. Sunan al-Tirmidhi by Imam al-Tirmidhi, Mustafa al-Babi al-Halabi Library and Press – Egypt.

33. Al-Siyasah al-Shar'iyya wa al-Qada' by 'Abd al-Qadir 'Awda, Dar al-Katib al-'Arabi, Beirut.
34. Siyar A'lam al-Nubala' by al-Dhahabi, Al-Risalah Foundation.
35. Sharh al-Sunnah, I'tiqad Isma'il ibn Yahya al-Muzani, Maktabat al-Ghuraba' al-Athariyya – Saudi Arabia.
36. Shu'ab al-Iman by al-Bayhaqi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut – Lebanon.
37. Al-Sihah by al-Jawhari, Dar al-Rayan li-l-Tiba'a.
38. Sahih al-Bukhari by Imam al-Bukhari, (Dar Ibn Kathir, Dar al-Yamamah) – Damascus.
39. Sahih Muslim by Imam Muslim, Dar al-Fikr.
40. Sifat al-Safwa by Ibn al-Jawzi, Dar al-Hadith – Cairo.
41. Tabaqat al-Sufiyya by Abu 'Abd al-Rahman al-Sulami, Mustafa al-Babi wa Ikhwanuhu.
42. 'Awarif al-Ma'arif by Imam 'Umar al-Suhrawardi, Dar al-Fikr, Beirut.
43. Ghurar al-Hikam wa Durar al-Kalim, indexed from the sayings of Amir al-Mu'minin 'Ali, by al-Amidi, Dar al-Hadi.
44. Fatq al-Ratq 'ala Ratq al-Fatq by Shaykh Muhammad Mustafa (nicknamed Ma' al-'Aynayn), Al-Khizana al-'Amma, Rabat "D 384."
45. Fath al-Bari by Ibn Hajar al-'Asqalani, Dar al-Ma'rifa – Beirut, 1379 AH.
46. Al-Futuhat al-Makkiyya by Ibn 'Arabi, Dar al-Fikr, Beirut.
47. Fasl al-Khitab fi al-Zuhd wa al-Raqa'iq wa al-Adab by Muhammad Nasr al-Din Muhammad 'Uwayda, Dar al-Ma'rifa.
48. Islamic Jurisprudence and Its Evidence by Dr. Wahbah al-Zuhayli, Dar al-Fikr – Syria, Damascus.
49. Al-Fawatih al-Ilahiyya wa al-Mafateeh al-Ghaybiyya al-Muwdihah li-l-Kalim al-Qur'aniyya wa al-Hikam al-Furqaniyya by al-Nakhjawani, Dar Rikabi.
50. Qiladat al-Jawahir by Abu al-Huda al-Sayyadi, Dar Misr li-l-Tiba'a wa al-Nashr.
51. Qut al-Qulub fi Mu'amalat al-Mahbub by Abu Talib al-Makki, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut, Lebanon.
52. Kashf al-Khafa' wa Muzil al-Ilbas by al-'Ajluni, Maktabat al-Qudsi, Cairo.
53. Al-Kulliyyat: A Dictionary of Terms and Linguistic Distinctions by Abu al-Baqa' al-Kafawi, Al-Risalah Foundation – Beirut.
54. Kanz al-Barahin al-Kasbiyya wa al-Asrar al-Wahbiyya al-Ghaybiyya by Shaykh ibn Muhammad ibn Shaykh al-Jifri, Al-Maktabah al-Azhariyya.
55. Lisan al-'Arab by Ibn Manzur, Dar Sadir – Egypt.
56. Majma' al-Zawa'id wa Manba' al-Fawa'id by al-Haythami, Maktabat al-Qudsi, Cairo.
57. Mukhtasar Minhaj al-Qasidin by Ibn Qudama, edited by Zuhayr al-Shaweesh, Al-Maktab al-Islami – Beirut.
58. Manuscript: Al-Mafakhir al-'Aliyya fi al-Ma'athir al-Shadhiliyya, Najib Pasha, no. 306/1, folio 133, no. 732, folio 177.
59. Masawi' al-Akhlaq wa Madhmuumaha by al-Khara'iti, Maktabat al-Qur'an – Cairo.
60. Mishkat al-Masabih by al-Khatib al-Tabrizi, Al-Maktab al-Islami – Beirut.
61. Mu'jam al-Udaba': Irshad al-Arib ila Ma'rifat al-Adib by al-Hamawi, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut.
62. Dictionary of Sufi Terminology by Dr. 'Abd al-Mun'im al-Hifni, Dar al-Masira, Beirut – Lebanon.
63. Al-Mufassal fi Tarikh al-'Arab Qabl al-Islam by Dr. Jawad 'Ali, Dar al-Saqi.

64. Maqayis al-Lugha by Ibn Faris, Al-Risalah Foundation – Beirut.
65. Manazil al-Sa'irin by Abu Isma'il 'Abd Allah ibn Muhammad ibn 'Ali al-Ansari al-Harawi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut.
66. Al-Manhaj al-Ta'sili li-Dirasat al-Tafsir al-Tahlili by 'Arafa ibn Tantawi, Dar al-Fikr.
67. Mawaqi' al-Nujum wa Matali' Ahillat al-Asrar wa al-'Ulum by Ibn 'Arabi, King Faisal Center for Research and Islamic Studies.
68. Encyclopedia of Qur'anic Ethics by Ahmad al-Sharbasiy, Dar Misr.
69. Encyclopedia of Islamic Ethics by al-Saqqaf, Al-Dorar.net.
70. Encyclopedia of Islamic Ethics, a group of researchers under the supervision of Shaykh 'Alawi ibn 'Abd al-Qadir al-Saqqaf, Al-Dorar.net.
71. Encyclopedia of Ethics by Khalid ibn Jum'a ibn 'Uthman al-Kharras, Maktabat Ahl al-Athar li-l-Nashr wa al-Tawzi', Kuwait.
72. Nadrat al-Na'im fi Makarim Akhlaq al-Rasul al-Karim (peace be upon him), a group of researchers, vol. 9, p. 3772.
73. Al-Nukat wa al-'Uyun by al-Mawardi, Dar al-Fikr – Egypt.
74. Al-Nihaya fi Gharib al-Hadith by Ibn al-Athir, Dar al-Fikr.
75. Al-Nihaya fi Gharib al-Hadith wa al-Athar by Ibn al-Athir, Al-Maktaba al-'Ilmiyya – Beirut, 1399 AH / 1979 CE.
76. Al-Wasit fi Tafsir al-Qur'an al-Majid by al-Wahidi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut – Lebanon.
77. Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman by Ibn Khallikan, Dar Sadir – Beirut.

المصادر والمراجع:

القران الكريم

١. احياء علوم الدين للإمام الغزالي، دار المعرفة – بيروت.
٢. آداب الشافعي ومناقبه لابي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية – بيروت.
٤. تاريخ أصبهان لابي نعيم الاصفهاني، دار الكتب العلمية – بيروت.
٥. تاريخ الطبري، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، محمد بن طاهر البرزنجي، دار ابن كثير، دمشق.
٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية – تونس، ١٩٨٤ هـ
٧. تفسير التستري، أبو محمد سهل التُستري، دار الكتب العلمية – بيروت.
٨. تفسير القران العظيم لابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٩. التفسير الموضوعي، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.

١٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

١١. تفسير لطائف الإشارات الامام القشيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

١٢. تفسير مقاتل بن سليمان، دار إحياء التراث – بيروت

١٣. تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية.

١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، مؤسسة الرسالة.

١٥. التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع (معاصر)، دار الإيمان – الإسكندرية.

١٦. جامع الأصول في الاولياء، احمد ضياء الدين، دار الفكر بيروت.

١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

١٨. جامع البيان للطبري، دار الفكر بيروت.

١٩. الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري، دار الفكر.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة.

٢١. حقائق التفسير لابي عبد الرحمن السلمي، دار الفكر.

٢٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لابي نعيم الاصفهاني، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر.

٢٣. الدر المنثور للإمام السيوطي، دار الفكر – بيروت.

٢٤. الرسالة القشيرية للإمام القشيري، دار المعارف، القاهرة.

٢٥. رسالة لا يعول عليه لابن عربي، دار الفكر.

٢٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٧. روض الرياحين لليافعي، مصطفى البابي واخوانه مصر.

٢٨. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٩. زهرة التفاسير محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٣٠. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشربيني، مطبعة بولاق.

٣١. سنن أبو داود، للإمام أبو داود، المطبعة الأنصارية بدهلي– الهند.

٣٢. سنن الترمذي، للإمام الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

٣٣.السياسة الشرعية والقضاء، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت.

٣٤.سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة.

٣٥.شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني، مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية.

٣٦.شعب الإيمان، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

٣٧.الصحاح للجوهري، دار الريان للطباعة.

٣٨.صحيح البخاري للإمام البخاري، (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق.

٣٩.صحيح مسلم، للإمام مسلم، دار الفكر.

٤٠.صفة الصفوة لابن الجوزي، دار الحديث القاهرة.

٤١.طبقات الصوفية لابي عبد الرحمن السلمي، مصطفى البابي واخوانه.

٤٢.عوارف المعارف للإمام عمر السهرودي، دار الفكر بيروت.

٤٣.غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس من كلام امير المؤمنين علي، للامدي، دار الهادي.

٤٤.فاتق الرتق على راتق الفتق، الشيخ محمد مصطفى الملقب ماء العينين، الخزانة العامة بالرباط "د ٣٨٤".

٤٥.فتح الباري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

٤٦.الفتوحات المكية لابن عربي، دار الفكر بيروت.

٤٧.فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة، دار المعرفة.

٤٨.الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر – سوريَّة – دمشق.

٤٩.الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ، للنخجواني، دار ركابي.

٥٠.قلادة الجواهر لابي الهدى الصيادي، دار مصر للطباعة والنشر.

٥١.قوت القلوب في معاملة المحبوب لابي طالب المكي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٥٢.كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي – القاهرة.

٥٣.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لابي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٤.كنز البراهين الكسبية والاسرار الوهبية الغيبية، شيخ بن محمد بن شيخ، الجفري، المكتبة الازهرية.

٥٥.لسان العرب لابن منظور، دار صادر مصر.

٥٦.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة.

٥٧.مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٨.مخطوطة المفاخر العلية في المآثر الشاذلية نجيب باشا رقم ٣٠٦/ ١ ورقة ١٣٣ رقم ٧٣٢ ورقة ١٧٧.

٥٩.مساوئ الأخلاق ومذمومها للخرائطي، مكتبة القرآن، القاهرة.

٦٠.مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي – بيروت.

٦١.معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب للحموي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٦٢.معجم مصطلحات الصوفية، تأليف د. عبد المنعم الحفني، دار المسيرة بيروت – لبنان.

٦٣.المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي.

٦٤.مقاييس اللغة لابن فارس مؤسسة الرسالة – بيروت.

٦٥.منازل السائرين أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٦.المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليلي، عرفة بن طنطاوي، دار الفكر.

٦٧.مواقع النجوم ومطالع اهلة الاسرار والعلوم لابن عربي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات.

٦٨.موسوعة اخلاق القران احمد الشرباصي، دار مصر.

٦٩.موسوعة الأخلاق الإسلامية للسقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

٧٠.موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net .

٧١.مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ، خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت.

٧٢.نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، مجموعة باحثين، ٩/ ٣٧٧٢.

٧٣.النكت والعيون للماوردي، دار الفكر مصر.

٧٤.النهاية في غريب الحديث لابن الاثير، دار الفكر.

٧٥.النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الأثير، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٧٦.الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧٧.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، دار صادر – بيروت.